الوصايا الخالدة

تأليف

عبد البديع صقر و مصطفى جبر

الطبعة الثانية

١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

دار الفكر

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

الوصايا الخالدة

الوصايا الخالدة

عبد البديع صقر و مصطفى جبر

الطبعة الثانية

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. أمين .

وبعد : فإن التاريخ هو معمل التجارب البشرية بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها وإن وصايا الحكماء هي خلاصة هذه التجارب توضح الغامض وتقرب البعيد ومازالت الأقوال المأثورة والأمثال السارية تتردد على الألسنة وتزين حديث المجالس ورسائل البلغاء فتكون دليلا على حسن الادراك وايضاح الدلالة .

وفي هذا الكتاب جملة من الوصايا الجيدة ، رتبنا أبوابها على الوجه الاتي :

الباب الاول : من هدى القرآن العظيم والرسول والنبي الكريم .

الباب الثاني : من وصايا الخلفاء الراشدين .

الباب الثالث : من وصايا الصحابة والتابعين .

الباب الرابع : من وصايا حكماء الجاهلية .

الباب الخامس : وصايا متفرقة .

ويلاحظ القارىء الكريم ان تلك الوصايا تصور ظروفها التاريخية وأثار تلك العصور.. فهي تنقل المرء من عهود الجاهلية وفيها لمحات حكمة ضئيلة من خلال ظلمات الجهل والمظالم ، الى عهد الرسالة بمالها من اشراق البهى لايدانية شيء ، الى كلام رسول الله حيث تجد الايجاز البليغ وروح الوحي مع التقيد التام باحكام القرآن وهديه إلى كلام ابي بكر وهو الورع الحريص على على اقتفاء الأثر والحفاظ على التركة الهائلة . فكلام عمر الذي يدل على الاستقرار النفسى مع الخشية والحزم ، ثم كلام عثمان وفيه رد الفعل للخلافات التي دبت في أواخر عهده ، ثم كلام علي وفيه الاسى على الفضائل المضيعة مع شدة الحرص على جمع الكلمة ومجاهدة الأطماع .

وهكذا تكاد تشعر بروائح العصور وانت تقلب هذه الورقات .

وقد حرصنا على ان تتخللها بعض الاشعار الخفيفة دفعاً للملل .

ونسأل الله أن ينفع بها كل من نظر فيها فالله أردنا والحمدلله رب العالمين .

المؤلف

الباب الأول
مِن كلام الله وكلام رسوله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في سورة الأنعام (١٥١ ـ ١٥٣) :

من هدى القرآن

(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، ولاتَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِن إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نرزُقُكُم وإِيَّاهُم ، وَلا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ ماظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالْحَقِّ ، ذٰلِكُمْ وصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ ١٥١ . وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حتىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الكَيلَ وٱلْميزَانَ بِالْقِسْطِ ، لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا ، وإِذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا ولَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذٰلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ . وأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذٰلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون ١٥٣ .)

وقال تعالى في سورة الرعد (١٨ ـ ٢٨) :

(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِم ٱلْحُسْنَىٰ ، والَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَو أَنَّ لَهُمْ مافي الأَرْضِ جَمِيعاً ومِثْلَهُ مَعَهُ لافتَدَوْا بِهِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ ١٨ . أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب ١٩ . الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ولاَ يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ ٢٠ . والَّذِينَ يَصِلُونَ مَاأَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُم ويَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ٢١ . والَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِم وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً ويَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُم عُقْبَى الدَّار ٢٢ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها ومَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِم وذُرِّيَّاتِهِم والمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِم مِنْ كُلِّ بَاب ٢٣ . سَلامٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ٢٤ . والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ انْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٢٥ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ويَقْدِرُ ، وفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا في

الآخِرَةِ إلا متَاعٌ ٢٦ . ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن ربِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي إِلَيهِ مَنْ أَنَابَ ٢٧ . الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبهُم بِذِكْرِ اللهِ ، أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨ .)

وقال تعالى في سورة الاسراء (٢٣ ـ ٣٩) :

(وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبلُغَنَّ عندكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ٢٣ . واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَاني صَغِيراً ٢٤ . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا في نُفُوسِكُمْ ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ٢٥ . وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولاتُبَذِّرْ تَبْذِيراً ٢٦ . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ٢٧ . وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنهُمُ ابْتِغَاءَ رَحمَةٍ من رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَولاً مَيْسُوراً ٢٨ . ولا تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ، ولا تَبسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ٢٩ . إِنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ويَقدِرُ ، إِنَّه كانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيراً ٣٠ . ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم خَشْيَةَ

إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُم وإِيَّاكُم ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً ٣١ . ولا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ٣٢. ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي ٱلْقَتْلِ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ٣٣ . ولا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ٣٤ . وأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ٣٥ ولاتَقْفُ مالَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وٱلْبَصَرَ وٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦ . ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ، ولَنْ تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ٣٧ . كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ٣٨ . ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ، ولا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ٣٩ .)

وقال تعالى في سورة المؤمنون (١ – ١١) :

(قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِم خَاشِعُون ٢ . والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ . والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ . والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ ٥ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُم غَيرُ مَلُومِين ٦ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ

وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العَادُونَ ٧ . والَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِم وعَهْدِهِم رَاعُونَ ٨ . والَّذِينَ هُم عَلَىٰ صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ ٩. أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ ١٠ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ١١ .)

وفي سورة الفرقان قال تعالى (٦٣ ـ ٧٧)

(وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُم ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ٦٣ . والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدًا وقِياماً ٦٤ . والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ٦٥ . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً ٦٦ . والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَم يَقْتُرُوا وكَان بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً ٦٧ . والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ ، ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ولا يَزْنُونَ ، ومَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ٦٨ . يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيه مُهَاناً ٦٩ . إِلَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات ، وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً ٧٠ . ومَنْ تَابَ وعَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلى اللهِ مَتَاباً ٧١ . والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ٧٢. والَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَم يَخِرُّوا عَلَيهَا

صُمًّا وعُمْيَاناً ٧٣ . والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْواجِنَا وذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ٧٤. أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ويُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ٧٥ . خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً ٧٦. قُلْ مايَعْبَؤُا بِكُم رَبِّي لَولا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُم فَسَوفَ يَكُونُ لِزَاماً ٧٧.)

وقال تعالى في سورة الشورى (٣٦ ـ ٤٣)

(فَمَا أُوتِيتُم مِنْ شَيءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيا ، ومَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ . والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وٱلْفَوَاحِشَ وإِذَاما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُون ٣٧ . والذين استجابُوا لِرَبِّهِم ، وأَقامُوا الصَّلاةَ ، وأَمْرُهُمْ شُوري بَيْنَهُم ، ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ ٣٨ . والَّذِينَ إِذا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هم يَنْتَصِرُونَ ٣٩ . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهاَ ، فَمَنْ عَفا وأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ على اللهِ ، إِنَّهُ لَايُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ . ولَمَنِ انتَصَر بَعْدَ ظُلْمِه فأُولٰئِكَ ماعليْهِم مِنْ سَبِيلٍ ٤١. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ ، أولئِكَ لَهُمْ عذابٌ أَليمٌ ٤٢ . وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور ٤٣).

سـورة العصـر :

والْعَصْرِ (١) إنَّ الإنسانَ لفِي خُسرٍ (٢) إلا الذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوْا بالحقِّ وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ (٣).

سـورة الهمـزة :

ويْلٌ لكلِّ هُمَزَة لُمَزَةٍ (١) الَّذي جَمَعَ مالاً وعدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ في الْحُطَمَة (٤) وما أَدْرَاكَ مَاالحُطَمَةُ (٥) نَارُ الله الُموقَدَةُ (٦) الَّتي تَطَّلِعُ عَلى الأَفْئدَةِ (٧)إنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ (٩) .

سـورة الماعـون :

أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتيمَ (٢) وَلاَ يَحُضُّ عَلي طَعَامِ المسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذينَ هُمْ يُراؤُونَ (٦) وَيَمْنَعونَ الماعُونَ (٧) .

مِن هدي النبوّة

السنة هي ما جاء بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو اقرار .

وقد أكد القرآن الكريم منزلتها بقوله :

(وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهوْا وَاتَّقُوا اللهَ) .

وقوله تعالى (مَنْ يطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) .

وقوله تعالى (ومَا يَنْطقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَىٰ).

والسنة المطهرة مليئة بالوصايا الخالدة ، والهداية الراشدة ، وقد اقتصرنا على ايراد بعض الأحاديث الصحيحة في هذه الرسالة ، وما هي الا قطرة من بحر هداه صلى الله عليه وسلم .

الاعتصام بالكتاب والسنة

عن العرباض بن سارية ، قال :

(صلىَّ بِنَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ذَات يوم ، ثم أَقْبَلَ عَلَينَا بِوَجْهِهِ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَة بَلِيغَة ، ذَرفَتْ مِنْهَا ٱلْعيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنها القُلُوب ، فقال رجل : يارسول الله ، كأَن هذه موعظة مودِّع فأَوصِنَا ، فقال :

«أُوصِيكُم بِتَقْوَي الله ، والسَّمع والطَّاعة ، وإن كان عَبدًا حَبَشيًّا ، فإنَّه من يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِي فَسَيَرَي اختلافاً كثيرًا ؛ فعَلَيكُم بِسُنَّتِي وسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشدين اَلمهْدِيِّين ، تَمَسَّكُوا بِهَا وعَضُّوا عَلَيهَا بالنَّواجِذ ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُور ؛ فَإِنَّ كلَّ مُحْدَثَة بِدْعَة ، وكُلَّ بِدْعةٍ ضَلالَة » .

وعن انس ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يابُنَيّ ، إن قَدَرْتَ أَن تُصبح وتُمْسِي وليس في قلبك غِشٌّ لأَحَد فافْعَل .)

ثُمْ قَال « يابُنَيّ ، ودلك من سُنَّتِي ، ومَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فقد أَحبَّنِي ، ومَنْ أَحَبَّنِي كان معي في ٱلْجَنَّة » .

الصـــلاة

عن ابى الدرداء ، قال : أو صانى خليلى :

« أَن لاتُشْرِك بالله شيئاً ، وإِنْ قُطِّعْتَ وحُرِّقتَ . ولا تَتْرُك صلاةً مَكْتُوبَة مُتعَمِّدًا ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتعَمِّدًا ، فقد بَرِئَتْ مِنه الذِّمَّة . ولا تَشْرَب ٱلْخَمْر فإنَّها مِفتَاح كُلِّ شَرّ » .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :

قَال «ياعَليّ : ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرها : الصَّلاةُ إذا أَتَتْ ، والجنازة إذا حَضَرَتْ ، والأَيِّمُ (١) إذا وجَدْتَ لَهَا كُفْؤًا»

ذكر الموت

عن عبدالله بن عمر، قال : اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال :

«كُنْ في الدُّنْيا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عابِرُ سَبِيل» .

وكان ابن عمر يقول :

«إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنتَظِر الصَّبَاح ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فلا تنتظر المساءَ ، وخُذْ من صحتك لمرضك ، ومِنْ حَيَاتِك لموتك» .

وعن جابر، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول :

«لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إلاَّ وهو يُحْسِن الظَّنَّ بالله» .

فضل التسبيح

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

«أَيَعْجَزُ أَحَدُكُم أَن يَكْسِب كلَّ يوم أَلْفَ حَسَنَة ؟»

فسأَله سائل مِن جُلَسَائه : كَيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنا أَلْف حَسَنَة ؟ ، قَال :ـ« يُسَبِّح مائة تَسْبِيحة فيُكْتَبُ لَهُ أَلْف حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْه أَلْفُ خطيئَة»

---

(١) هي التي لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها .

الاستغفار والتوبة

عن أبى ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« ياعِبَادي ، إنِّي حرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي ، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحَرَّماً ، فَلا تَظَّالَمُوا.. ياعِبَادي ، كُلُّكُم ضَالٌّ إلا مَن هَدَيتُهُ ؛ فاستَهْدُوني أَهْدكُم . ياعِبَادي ، كُلُّكُم جائع إلامَنْ أَطْعَمْتُه ؛ فاستَطْعمُوني أُطْعِمْكُم . ياعِبَادي كلُّكُم عارٍ إلامَن كَسَوْتُه ؛ فاسْتَكْسُوني أَكْسِكُم . ياعِبَادي ، إنَّكُم تُخْطئون باللَّيلِ والنَّهَار وأَنَا أَغْفِر الذُّنُوب جميعاً ، فاستَغْفرُوني أَغْفِر لَكُم . ياعِبَادي ، إنَّكُم لن تَبلُغُوا ضُرِّي فَتضرُّوني ، ولَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتنفَعُوني . ياعبادي ، لَو أَنَّ أَوَّلَكُم وآخِركُم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أَتقي قلب رجُل واحِد مِنْكُم ؛ مازاد ذلكَ في مُلْكِي شَيئاً . ياعبادي ، لو أَن أَوَّلكُم وآخِركُم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم ، كانوا علي أَفْجر قَلْب رجُل واحد منكُم ؛ مانقص ذلك من ملكي شيئاً . ياعِبَادي ، لَو أَنَّ أَوَّلكُم وآخِركُم ، وإنْسَكُم وجِنَّكُم قاموا في صَعِيد واحِدٍ ، فسأَلوني فأَعطَيتُ كلَّ إنسان مسأَلته ؛ مانقص ذلك مِمَّا عندي إلا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ

إذا أدخِلَ البحر . ياعبادي إنّمَا هي أَعمالكم أُحصِيها عليكم ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها . فمن وجَدَ خَيرًا فَليَحمد الله . ومَنْ وَجَد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه » .

الــدعـــاء

عن أم سلمة، ان النبي صلىالله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال :

« بسم الله ، تَوَكَّلْتُ على الله ، اللَّهُمَّ إنَّا نُعوذ بِكَ مِنْ أَن نَزِلَّ أَو نضِلَّ ، أَو نَظْلِم أَو نُظْلَم ، أَو نَجْهَل أَو يُجْهَل عَلَينا » .

وعن أبى سعيد الخدري ، قال : قال رجل : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله ؛ قال صلى الله عليه وسلم :

« أَفَلا أُعَلِّمكَ كَلاماً إذا قُلتَه أَذْهَبَ الله هَمَّك ، وقَضى عنك دَيْنَك » ؟

قال : قلت : بلى . قال :

« قُل إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيتَ : اللَّهُم إني أَعُوذ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحزنِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعَجْزِ وٱلْكَسَل ، وأَعُوذُ بِكَ مِن غَلَبَة الدَّين وقَهْر الرِّجال » . قال : فَفَعَلْتُ ذلكَ فأَذْهَبَ الله هَمِّي ، وقَضى عَنِّي دَيْنِي

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعوَّذوا بالله من جَهد (١) البَلاء ، ودَرَك (٢) الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأَعداء » .

عشر كلمات

عن معاذ ، قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال :

« لا تُشْرِك بالله شيئاً وإن قُتلت وحرِّقتَ ؛ ولا تَعُقَّن والدَيك وإن أَمراك أَن تخرج من أَهلك ومالِك ؛ ولا تَتْرُكَنَّ صلاةً مكتوبة متعمِّدًا ، فإنَّ مَنْ تَرَكَ صلاة مكتوبة متعمِّدًا فقد برئت منه ذمة الله ؛ ولا تشربنَّ خمرًا فإنَّه رأس كُل فاحشة ؛ وإيَّاك والمعصية ، فإن بالمعصية حل سخَطُ الله ؛ وإيَّاكَ والفرار من الزَّحف وإن هلك الناس ؛ وإذا أَصاب الناس مَوْتٌ (٣) وأَنتَ فيهم ، فاثبُت ؛ وأَنْفق على عِيَالك من طَوْلك ؛ ولا ترفع عنهم عصاك أَدباً ؛ وأَخِفْهم في الله »

الجهاد

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنْتَدبَ الله لمن خرج في سَبِيلِه لا يُخْرِجهُ إلا إيمَانٌ

(١) جهد البلاء : المصائب تصيب الانسان ويعجز عن دفعها .
(٢) بفتح الراء أو سكونها أى من الادراك لما يلحق الانسان من تبعته .
(٣) أى طاعون أو وباء .

بي وتَصْدِيقٌ بِرُسُلي ؛ أَن أُرجِعهُ بما نالَ من أَجرٍ وغَنِيمَة أَو أُدخِلهُ الجَنَّة » .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَغَدوَةٌ في سَبِيلِ الله أَو رَوحَةٌ خَيرٌ من الدُّنيَا ومافيها »

وعن زيد بن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من جَهَّزَ غازِياً في سبيلِ الله ؛ فقدْ غَزَا ، ومَنْ خَلَفَ غَازِياً في أَهلهِ ؛ فقد غَزَا » .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اَلْقَتْل في سَبِيل الله يُكَفِّر كلَّ شَيءٍ إلاَّ الدَّيْن »

وعن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لايَلِجُ النَّارَ مَنْ بكَى مِنْ خَشْيَة الله حَتىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرع ، ولا يَجْتَمعُ على عَبْد غُبَارٌ في سَبِيلِ الله ودُخانُ جَهَنَّم ، ولا يَجْتَمِـع الشُّحُّ والإيمَان في قَلْبِ عَبْدٍ أَبَـــدًا » .

آداب وأخـلاق « اللقاء »

عن البراء بن عازب ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَامِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَان فَيَتَصَافَحَان ، إلا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » .

وعن معاوية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجالِ قِيَاماً (١) فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار » .

اللســـان

وعن بلال بن الحارث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّم بالكَلِمَة من الخَيرِ مايَعْلَم مَبلَغَها يَكْتُبُ الله لَه بِهَا رضوانَهُ إلى يوم يَلْقَاه . وإن الرَّجُل لَيتكَلم بالكَلِمَة من الشَّر مايَعلَم مَبْلَغها يكْتُب الله بِهَا عَلَيهِ سَخطَه إلى يَوْمِ يلقَاه» .

أخـلاق المؤمنـين

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ ذَبَّ (٢) عنْ لَحمِ أَخِيهِ بالمِغيبَةِ كانَ حَقًّا علَى اللَّه أَنْ يُعْتِقهُ من النَّار» .

وعن أبي ذر ، قال : قلت يا رسول الله أوصني ، قال :

«أُوصيكَ بِتَقْوَىٰ الله ، فإِنَّه أَزْيَن لأَمركَ كُلِّه»

قلت : زِدني ، قال : «عَليكَ بِتلاوَة القُرآن وذكر الله عزَّ وجَلَّ ، فإنَّه ذِكْرٌ لك في السَّماء ، ونُورٌ لَكَ في الأَرض» . قلت : زِدني . قال : «عَلَيكَ بِطُول الصَّمْت ، فإِنَّه

(١) أى يقوموا له كلما أقبل عليهم .
(٢) اى دافع عن سمعته وعرضه .

مَطْرَدَةٌ لِلشَّيطَان وعَونٌ لَكَ على أَمْر دِينك» . قلت : زِدني قال : «إيَّاك وكَثْرَة الضَّحك ، فإنَّه يُميتُ ٱلْقَلْب ، ويَذْهب بِنُورِ الوجْهِ» . قُلت : زِدني . قال : «قُل الحَقَّ وإنْ كانَ مُرًّا» قلت : زِدني . قال : «لاتَخَفْ في الله لَومَة لائِم» . قلت : زدني . قال : «لِيَحجزك عن النَّاس ماتَعْلَم عن نفسك» .

وروى البخاري والترمذي وابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ أَصْبَحَ آمناً في سِربه ، مُعَافىً في بَدَنه ، لَه قُوت يومِه ، فكأَنَّمَا حِيزَت لَه الدُّنْيَا بِحَذَافِيرها » .

الغيبـــة

وعن ابي سعيد وجابر ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الغِيْبَة أَشَدُّ من الزِّنا» . قالوا : يارسول الله وكَيف الغيبة أَشد من الزِّنا ؟ قال : «إن الرجُل يزني فَيَتُوبُ ، فَيَتوب الله عَلَيه، وإنَّ صاحب الغيبة لا يُغْفَر لَهُ حَتَّى يَغْفِرها له صاحِبه» .

العصــبية

عن عبادة بن كثير الشامي من اهل فلسطين ، عن امرأة منهم يقال لها فسيلة ، أنها قالت :

سَمِعْتُ أَبي يقول: سأَلتُ رَسُول الله صلى الله عَلَيهِ وسلم ،

فقُلْتُ : « يارَسُول الله ، أَمِنَ ٱلْعَصَبِيَّة أَن يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوَمَهُ » قال : «لا ؛ ولكن مِنَ ٱلْعَصَبِيَّة أَن يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَومَهُ على الظُّلْم » .

الاخـلاص

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«لأَعْلَمَنَّ أَقواماً مِنْ أُمَّتِي يأْتُونَ يَومَ ٱلْقِيامَة بأَعْمَال أَمْثَال جِبَال تِهامَة ، بيضاء ، فَيَجْعَلها الله هباءً مَنْثُوراً» قال ثَوبان ، يارسول الله صِفْهم لَنَا ، جَلِّهِم لنا ، لا نَكُون مِنْهُم ونحْنُ لا نَعْلَم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَمَا هُم إِخوانكُمْ ، ومِنْ جِلْدَتِكُم ، ويَأْخُذُونَ مِن اللَّيلِ كمَا تأْخُذُون ، ولٰكِنَّهُم قوم إِذا خَلَوا بِمَحَارِمِ الله انْتَهكُوها » .

وعن عائشة وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُهُ » .

بــر الوالدين والرحم

وعن أبي هريرة ، قال : قال رجل :

يارسول الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاس بِحُسْن صحَابَتِي ؟ قال:

«أُمُّك» . قال : ثمَّ مَنْ ؟ قال : «أُمُّك» . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قَال «أُمُّك» قَال ثُمْ مَنْ ؟ قَال : « أَبُوك » .

وفي رواية ، قال :

« أُمَّك ، ثمَّ أُمَّك ، ثمَّ أُمَّكَ ، ثمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مِنَ ٱلْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُل وَالِدَيْهِ » . قالوا : يارسول الله ، وهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ والِدَيْه ؟ قال : « نَعَم ، يَسُبُّ أَبا الرَّجُل ، فَيَسُبُّ أَبَاه ؛ ويَسُبُّ أُمَّه ، فَيَسُب أُمَّه » .

وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ صِلَة الرَّجُل أَهْلَ وِدِّ أَبِيْهِ بَعْد أَنْ يُوَلِّيَ » .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَط لَه في رِزْقِه ويُنسَأَ لَهُ في أَثرِه ؛ فَلْيَصِل رحْمَه » .

وعن ابن عباس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَامِنْ وَلَدٍ بَارٍّ يَنْظُرُ إلى وَالِدَيْهِ نَظْرَة رَحْمَةٍ إلا كَتَب الله لَه بِكُلِّ نَظْرَةٍ حجَّةً مَبْرُورَة » .

قالوا : وإن نَظَرَ كلَّ يَوم مائة مرة ؟ قال :
« نَعَمْ ، اللهُ أَكْبَرُ وأَطْيَب » .

الرحمة والتعاون

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السَّاعِي على الأَرْمَلَة والمسْكِين كالسَّاعِي في سبِيل الله » ، وأَحسبه قال : « كالقَائِم لا يَفتُرُ وكالصَّائِم لايفْطِر »

وعن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَنَا وكَافِلُ ٱلْيَتِيم لَهُ ولِغَيرِه ، في ٱلْجَنَّة هكَذَا » وأَشار بالسبابة وٱلْوسطىٰ وفَرَّج بينهما شيئاً .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ٱلمؤمِن لِلمُؤمِن كالبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضه بَعْضا » ثم شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعه .

وعن أنس ، قال : قَال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوفاً كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلاثَةَ وسَبْعِين مَغْفِرَة : وَاحِدَة فِيهَا صلاحُ أَمْرِه كُلِّه ، وٱثْنَتَان وسبْعُون لَه دَرَجات يَومَ ٱلْقِيَامَة » .

الحب في الله

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الله يَقُولُ يومَ ٱلْقِيَامَةِ : أَيْنَ ٱلْمتَحَابُّونَ بِجَلالي؟

اليَوم أُظِلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّيّ» .

وعن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إنَّ مِنْ عِبَاد الله لأُناساً ماهُم بأَنْبِيَاء ولا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُم الأَنْبِيَاءُ والشهَدَاءُ يَومَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِم مِنَ الله قَالوا : يارسول الله ؟ تُخْبِرَنا مَنْ هُم ؟ قال :

«هُم قَومٌ تَحَابُّوا بِرُوح الله على غَيْرِ أَرْحام بَيْنَهُم ولا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَالله إنَّ وُجُوهَهم لَنُورٌ ، وإنَّهُم لَعَلىٰ نُورٍ ، لا يَخَافونَ إذَا خافَ النَّاس ، ولا يَحْزَنُونَ إذَا حَزِنَ النَّاس» . وقرأَ هذه الآية :

«أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوف عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون) (١)

الخصـومة

عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لايَحِلُّ لِلرَّجُل أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوقَ ثَلاث لَيَال ، يَلْتَقِيَانِ فَيعْرِضُ هٰذَا ويُعْرِض هذَا ، وخَيرهُمَا الذِي يَبْدَأَ بالسَّلام» .

---

(١) سورة يونس (الآيـة ـ ٦٢)

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَيْسَ ٱلْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ويَقُول خَيرا ويُنْمِي خَيرًا » .

وزاد مسلم ، قالت : ولم أَسمعه ـ تعني النبي صلى الله عليه وسلم ـ يُرَخِّصُ في شيء مِمَّا يقول النَّاس كذبٌ إلا في ثلاث : الحرب ؛ والإِصلاح بَينَ النَّاس ؛ وحديث الرَّجل امرأَته ، وحديث المرأَة زوجها .

وعن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال :

« يامَعشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِه ولَمْ يُفْضِ الإِيْمَان إلى قَلْبِه ؛ لاتؤذُوا الْمسْلِمين ولا تعيِّروهُمْ ، ولا تَتَّبِعوا عَوراتهم ؛ فإِنَّه مَنْ يتَّبع عَوْرَةَ أَخيه المسْلِم يتَّبع الله عَورَته ؛ ومَن يتَّبع الله عَوْرَته يَفْضَحْه ولَوْ في جوف رحله » .

التأني والاقتصاد

عن عبدالله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« السَّمتُ الحَسَنُ (١) والتُّؤَدة والاقْتِصَاد (٢) جُزْءٌ مِن

(١) السمت الحسن : السيرة المرضية والطريقة المستحسنة .
(٢) الاقتصاد : التوسط في الأحوال والتحرز من طرفى الافراط والتفريط .

أَرْبَع وعِشْرِينَ جزءاً مِنَ النُّبُوةِ » .

وعن مصعب بن سعد ، عن ابيه ، قال الأعمش : لا أعلمه الا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« التُؤدة في كُلِّ شَيء خَيرٌ إلا في عَمَلِ الآخرَة » .

الحيــاء وحسن الخلق

عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الْحَيَاء لايَأتي الاَّ بِخِير » وفي رِوَايةٍ ــ « الحَيَــــاءُ خَيرٌ كُلُّــــه » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ من أَحَبِّكُم إليَّ أَحْسَنَكُم أَخلاقاً » .

وعن أبى ذر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْت ، وأَتْبِــع السَّيِّئَة الحَسَنَة تَمْحُهَا ، وخَالِق النَّاس بِخُلُقٍ حَسَن » .

وعن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إنَّ ٱلْحَيَاءَ والإِيمَان قُرَناءُ جميعاً ، فإذَا رُفع أَحَدُهُما رُفِــعَ الآخَرَ » .

الغضــب والكــبر

عن أبي هريرة ، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني ، قال :

« لا تَغْضَبْ » فردَّد ذلِكَ مِرَارًا قال: « لاتَغْضَبْ »

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يَدْخل النَّارَ أَحَدٌ في قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيْمَانٍ ؛ ولا يَدْخُل الجَنَّةَ أَحَد في قَلْبِه مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ » .

الظلم

عن ابن عمر ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوم القيَامَة » .

وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ اللهَ لَيُمْلي لِلظَّالِم حَتَّىٰ إذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » .

ثم قرأ :

(وكذلك أَخْذُ ربِّكَ إذا أَخذ القُرَىٰ وهي ظالِمَة)(١) .

وعن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إيَّاكَ ودَعْوَةَ ٱلْمَظْلوم ، فَإنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالىٰ حَقَّهُ ، وإنَّ الله لا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

الأمر بالمعروف

عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ رَأَىٰ مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرهُ بِيدِهِ ، فإنْ لَم

(١) سورة هود الآيــة ١٠٢

يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبه ، وذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَان » .

عن أبي بكر الصديق ، قال :

يا أَيها النَّاس ؛ إنكم تَقْرَؤُون هذه الآية :

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنْفُسَكُم لا يَضُرُّكُم من ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم) (١) .

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ النَّاس إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَم يُغَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَن يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابه » . رواه إِبْن مَاجَة وَالترْمذي

وَفي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُد : « إِذَا رَأَوْا الظَّالِم فَلَم يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَن يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ » .

وفي رواية اخرى له :

« مَامِنْ قَوم يُعْمَلُ فِيهِم بالمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ على أَن يُغَيِّرُوا ثُمَّ لا يُغَيِّرُونَ إِلا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابٍ »

الدنيـــا

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاس : الصِّحَّة والفَرَاغُ » .

(١) سورة المائدة الآية ١٠٥

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وحُجِبَتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ »

عن عمرو بن عوف ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«فَوَاللهِ مَا ٱلْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيكُم ، ولٰكِن أَخْشَى عليكم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُم الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَت على مَنْ كانَ قَبْلَكُم ، فَتَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوها ، وتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ يَأْخُذ عَنِّي هٰؤلاءِ ٱلْكَلِمَات فَيَعْمَل بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّم مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ » قلت : أَنا يارَسُوْلَ الله ؛ فأَخَذَ بِيدي فَعَدَّ خَمْساً فقَال :

« اتَّقِ ٱلْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاس ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُن أَغْنَىٰ النَّاس ، وأَحْسِنْ إِلى جَارِكَ تَكُن مُؤمناً ، وأَحِبَّ لِلنَّاس ماتُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ ٱلْقَلْبَ » .

طلب الدنيا

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَيسَ مِنْ شَيءٍ يُقَرِّبُكُم إلى ٱلْجَنَّةِ ويُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّار إلا قَدْ أَمَرْتُكُم بِهِ ، ولَيس شَيءٌ يُقَرِّبُكُم

مِنَ النَّار ويُبَاعِدكُم عَنِ ٱلْجَنَّة إلا نَهيتُكُم عَنْه ؛ وإنَّ الرُّوح الأَمِين أَلْقَىٰ في رَوْعِي (١) أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوت حَتَّىٰ تَسْتَكْمِل رِزْقها ، أَلاَ فاتَّقُوا الله ، وأَجْمِلُوا (٢) في الطَّلَب ، ولا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءَ الرِّزْق أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي الله، فَإِنَّهُ لا يُدْرَك ماعِنْدَ الله إلا بِطَاعَتِه » .

عن انس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كانَتْ نِيَّتهُ طَلَبَ الآخرة جعَلَ الله غِنَاه في قلبه، وجَمَعَ لَه شَمْلَهُ ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وهي رَاغِمَة ، ومَنْ كَانَت نِيَّته طَلَبَ الدُّنْيَا جَعلَ الله ٱلْفقْرَ بَيْنَ عَيْنَيهِ ، وشَتَّتَ عَلَيْه أَمْرهُ ، ولا يَأْتِيه مِنْهَا إلا ما كُتِبَ لَه » .

الـــريـــاء

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قَال الله تعَالي (أَنَا أَغْنِي الشُّركاء عن الشِّرْك ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ مَعي غَيْرِي تركْتُه وَشِرْكَهُ)

في رِوَايَةٍ : « فَأَنا مِنْهُ بَرِيء ، هو والَّذي عَمِلَهُ » .

عن شداد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ صَلىَّ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَك ، ومَنْ صام يُرَائِي فَقَد

(١) الروع : الجلد والنفس والمعنى انه أوحى الى وحيا خفيا .
(٢) أى أحسنوا .

أَشْرَكَ ، ومَنْ تَصدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ» .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني الحارث بن كعب ـ بعد أن ولى وفدهم ـ عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الاسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد اليه فيه ، وأمره فيه بأمره :

«بِسم الله الرحمٰن الرَّحِيم . هذَا بَيَانٌ مِنَ الله ورسُوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا أَوْفُوا بِالعُقُود) . عَقْدٌ مِنْ مُحَمَّد النَّبِي رسُول الله لعمرو بن حزم ، حِين بَعَثَهُ إلى اليَمَن ، أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ الله في أَمْرِه كله فـ(إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا والَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ) وأَمَره أَنْ يأْخُذَ الحَق كما أَمَر به الله ، وأَنْ يُبَسِّر النَّاس بالخَيْر ويأْمرهم به ، وَيُعَلِّم النَّاس القُرْآنَ ، ويُفَقِّهَهُم في الدِّين ، وينْهَى النَّاس فلَا يَمَسَّ أَحَدٌ القرآن آلاَّ وهُوَ طَاهِرٌ وَيُخْبِرَ النَّاسَ بالَّذي لَهُمْ وبالَّذي عَلَيْهِم ، ويلينَ للنَّاس في الحق ، ويَشْتَدَ عليْهِمْ في الظلم ، فَإن اللَّه عَزَّ وجَلْ كَرِه الظُّلمَ وَنَهى عَنْهُ وقَال : (أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلىٰ الظَّالِمينَ) ويُبَشِّرَ النَّاس بالجنَّة وبِعَملِها ، ويُنْذِرَ بالنَّار وبَعمَلِهَا ، ويَسْتَأْلِفَ النَّاس حَتَّىٰ يَتَفَقَّهُوا في الدِّين ، ويعلِّم النَّاس مَعَالِم الحَجِّ وسُنَّتَه وفَرِيضَتَه . وما أَمَرَ الله بِهِ في الحَجِّ الأَكْبَر ، والحَج

الأَصْغَر وهُوَ ٱلْعَمْرَة ، ويَنْهىٰ النَّاس أَنْ يُصَلِّي أَحَد في ثوبٍ واحدٍ صَغير ، إلا أن يكُون ثوباً واحدًا يثني طَرَفَيْه على عاتِقَيه ، ويَنْهَى النَّاس أن يحْتَبي (١) أحد في ثوب واحدٍ يفضي بفرجِهِ إلى السَّمَاءِ ، ويَنْهَى أن لا يَعْقُصَ (٢) أَحَد شعر رأسِه إذا عَفَا (٣) في قَفَاهُ ، ويَنهىَ - إذا كانَ بَينَ النَّاس هَيْجٌ (٤) - عن الدعاءِ إلى ٱلْقَبَائِل والعَشَائر ، وليَكُن دُعاؤُهُم إلى الله وحده لا شَرِيكَ لَه ، فَمَن لَم يَدْعُ إلى الله وَدَعا إلى ٱلْقَبَائِل وٱلْعَشَائِر فَلْيُقَطَّعُوا بالسَّيفِ حتىٰ يكُون دُعاؤُهُمْ إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسْباغ الوضُوءِ : وجُوهَهُمْ وأَيدِيَهُم إلى المرافقِ ، وأَرْجُلَهُم إلى الكعبين ، ويمسحونَ برؤوسِهم كما أَمَرَهم الله عزَّ وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الرُّكوع والخشوع ، ويغلِّس (٥) بالفجر ، ويهجِّر (٦) بالهَاجِرَة حين تَميلُ الشَّمْس ، وصلاة العَصْرِ والشَّمسُ في الارْض مُدْبِرَة ، والمغرب حينَ يُقْبل

(١) يجمع ظهره وساقية بثوب أو غيره وقد يحتبى بيديه .
(٢) يضفره ويفتله .
(٣) كثروطال .
(٤) ثوران .
(٥) يبكر في صلاة الفجر .
(٦) في رواية « يهجر الظهر » يبكر الى صلاته .

اللَّيل ، لا تُؤَخَّر حتى تبدو النجوم في السَّمَاء ، والعشاء أَوَّل الليل ، ويأَمر بالسَّعْي إلى الجمعة إذا نُودِيَ لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأَمَرَهُ أن يأَخذ من المغانم خُمس الله وما كُتِبَ على المؤمنين في الصَّدَقَةِ ، من العقار عُشر ماسَقَتِ العَين (١) وما سَقَت السَّماءُ ، وعلى ماسقي الغَرْب (٢) نصف العُشْر ، وفي كل عَشْر من الإِبِل شَاتَان ، وفي كل عشرين مِنَ الإبِل أَرْبَع شِيَاهٍ ، وفي كلِّ أَربَعين من البَقَر بَقَرة ، وفي كل ثلاثين من البَقَر تَبيعٌ (٣) : جذع أَو جذعة ، وفي كل أَربعين من الغنم سَائِمَةً وحدها شاة ، فإِنَّها فَرِيْضَةُ الله التي افترضَ الله عز وجل على المؤمِنين في الصَّدَقَة ، فَمَن زاد خيرًا فهو خيْرٌ له .

وإِنَّه مَنْ أَسْلَم من يَهُودي أَو نصراني إسْلاماً خالصاً من نفسه وَدَانَ بدين الإِسلام ، فإِنه من المؤمنين ، له مثل مَالَهُمْ وَعَلَيْه مثْلُ ماعليهم ، ومَنْ كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإِنه لايُفْتَنُ عَنْهَا ، وعلى كلِّ حَالِمٍ ذكر أَو أُنثىٰ ،

(١) في رواية ما سقى البعل : أي الماء الجاري .

(٢) الدلو العظيمة .

(٣) تبيع دخل في السنة الثانية ذكراً كان أو أنثى .

حر أَو عبد دينار واف ، أَو عِوَضه ثياباً ، فمن أَدّى ذلِك ، فإِنَّ له ذمَّة الله وذمَّة رَسُوله ، ومَنْ مَنَع ذلِك فإِنَّه عدوٌّ لله ولِرَسوله ولِلْمُؤمِنين جَمِيعاً » .

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته



البـــاب الثاني
من وصايا الخلفاء الراشدين

وصية أبي بكر الصديق الى خالد بن الوليد

كان أبو بكر رضي الله عنه قد بعث المثنى بن حارثة الشيباني على جيش الى العراق . فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد فقاتل حولا أو نحوه ـ ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة الى أبي بكر يستمده فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلى خالِد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأَنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أمـــا بعد . . فالحمد لله الذي أنجزَ وَعْدَه ، وَنَصَرَ دِينَهُ ، وأعَزَّ وَلِيَّهُ ، وأَذَلَّ عَدُوَّه ، وغَلَبَ الأَحْزَاب فردا قال الله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأَرْض كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دِينَهم الَّذِي ارْتَضَى لَهُم وليبدِلَنَّهُم مِن بَعْد خَوفِهم أَمناً ، يَعبدُونَني لايُشْرِكُونَ بِي شَيئاً . ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فأُولٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُون)[1] وَعْدا لا خُلف له ، ومقالا لا رَيْبَ فِيه ، وفرض على المؤمنين

(١) سورة النور (الآية ٥٥) .

الجِهَاد فقالَ عزَّ من قائِل :

(كُتِبَ عَلَيْكُم ٱلْقِتَال وهوَ كرْهٌ لَكُم ، وعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيئاً وهوَ خَيرٌ لَكُم ، وعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيئاً وهوَ شَرٌّ لَكُم ، والله يَعْلَم وأَنْتُم لا تَعْلَمُون) (١) . فاستَتِمُّوا مَوعد الله إِيَّاكُم ، وأَطِيعوه فيما فَرَضَ عليكم ، وإن عَظُمَتْ فيه المئونة واشتدَّت فيه الرَّزية ، وبَعُدَت فيه الشقَّة ، وفُجِعتُم في ذلك بالأَموال والأَنفس ، فإن ذٰلك يَسِيرٌ في عَظِيم ثواب الله ، ولَقَد ذَكَرَ لَنَا الصَّادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أَن الله يبعث الشهداءَ يوم القيامة شاهرين سُيُوفهم لا يَتَمَنَّون على الله شيئاً إلا آتاهُمُوه ، حتىٰ أَعْطوا أَمانيهم ، وما لم يخطر على قلوبهم ، فما شيءٌ يتمنَّاه الشَّهِيد بعد دُخولِه الجنَّة إلا أَن يردَّهم الله إلى الدُّنْيَا فَيُقْرِضون (٢) بالمقارِيض في الله لعظيم ثواب الله .

انفروا ــ رحمكم الله في سبيل الله ــ خِفافاً وثقالا ، وجاهِدُوا بأَموالِكُم وأَنفسِكُم في سبِيل الله ، ذٰلِكُم خَير لَكُم إن كُنتُم تَعْلَمُون ، فقد أَمَرْتُ خالِدَ بن الوليد بالمسِير

---

(١) سورة البقرة (الآية ٢١٦) .
(٢) يستشهدون فيجزون الجزاء الحسن .

إلى العراق لا يبرحه حتى يأتيه أمري ، فسيروا معه ؛ ولا تثَّاقَلُوا عَنْه فإنَّه سَبِيل يُعَظِّم الله فيه الأَجرَ لِمَنْ حَسنت فيه نِيَّته ، وعَظُمَت في ٱلْخَيرِ رَغْبَته ، فإذا قَدِمتم العِرَاق فَكُونوا بها حتى يأتيكُم أَمْرِي ، كَفَانا الله وإيَّاكُم مهم أمور الدُّنْيا والآخرة والسَّلامُ عَلَيكُمْ ورحْمَةُ اللهِ .

وصيّة أبي بكر الصّديق إلى عمر بن الخطاب

لما مرض ابو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه عهد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال :

«إنِّي مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِي ، ومُوصِيكَ بِتَقْوَى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنَّهار ، وعملا بالنَّهار لا يقبله بالليل ، وإنَّه لا تُقْبَل نافلة حتى تؤتى الفريضة فإنَّه إنما ثَقُلَت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنَّما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

إن الله عز وجل ذكر أهل الجنَّة فَذَكَرَهُمْ بأحسن

أَعْمالِهِمْ وتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِم فَإِذَا ذَكَرْتُهُم قُلتُ اني أَخافُ أَن لا أَكُونَ مَعْ هؤلاء ؛ وذكر أهل النار فذكرهم بِأسوإِ أَعمالِهِم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلتُ : إني لأرجو أَن لا أكونَ مِنْ هٰؤلاء ؛ وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ، ولا يتمنّى على الله غير الحق ولا يُلقي بيده إلى التَّهلكَة .

فإذا حَفِظْتَ وصِيَّتِي فلا يكُن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإذا ضيَّعت وصيَّتي فلا يكُن غائب أَبغَض إليكَ مِنَ الموت ، ولستَ بمُعْجِز الله .

يا عمر، أَبغضَكَ مُبغِض وأَحَبَّكَ مُحِب . وقد ما يُبْغَضُ الخَير ويُحَبُّ الشَّر .

فقال عمر : « لا حاجة لى فيها (يعني الخلافة) » فقال له :

ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب ، إني إنما أستخلفك نظرًا لما خَلَّفتُ ورائي . قد رأَيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصَحبْتَه ، ورأَيتَ أَثَرَته أَنفسنا على نفسه حتىٰ إن كنا لنهدي لأَهله فضل ما يأتينا منه ، ورأيتَني وصحبْتَني . وإنما اتبعت أَثر من كان قبلي . والله ما نمتُ فحَلمتْ ، ولا تَوَهَّمْتُ فسَهَوتُ ، وإنِّي لَعَلى السَّبيل ما زغْتُ . إن

أَول مـا أُحَذِّرُكَ يـا عُمَرُ نفـسك ، إن لكل نفـس شهوة فإذا أَعطيتها تمادت في غيرها ؛ واحذر هؤلاءِ النَّفَرَ مِن أَصحاب رسول الله ، فإِنَّهم قد طمحت أَبْصَارُهُمْ ، وانتفخت أَجوافهم ، وأَحَبَّ كل امرئٍ مِنهم نفسه ، وإِن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم ، فإِياك أَن تكونه ، فإِنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقِينَ مِنك مازلت خائفا لله وفَرِقْتَهُ ، ولَكَ مُسْتَقِيمين مااستقامت طريقتك .

وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليـك

أبو بكر وجيش أسامة بن زيد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة على رأس جيش وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم (١) وكان آخر بعث بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بينهم عمر بن الخطاب .

وما كاد الجيش يجاوز الخندق حتى قبض رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فوقف أسامة حتى استخلف أبو بكـر ثم أرسل عمر بن الخطاب الى أبى بكر يستاذنه الرجوع للوقوف الى جواره في موقفه الخطير الجديد لما توقعه من انتقاض بعض القبائل وارتدادهم ، ولما علم من رغبـة الأنصاري أن يولى عليهم رجل أقدم سنا .

فلما أخبر عمر أبا بكر بما قال أسامة ، قال أبو بكر :

« والله لو علِمْتُ أَن السِّباع تَجُرُّ برجلي إن لَم أَرُدَّه مارَدَدْته ولا حَلَلْت لِواءً عَقَده رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البلقاء في الضفة الشرقية لنهر الأردن (وعاصمتها عمان الآن) والداروم قلعة جنوب غزة .

فقال عمـر :

« إن الأنصارَ يطْلُبُونَ إلَيكَ أَن تُولي أمرهم رجُلا أقدَم سِنًّا مِنْ أُسامه » .

فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر وقال :

« ثَكِلَتْكَ أُمّك وعدِمَتْكَ يابنَ الخَطَّاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتـأمرني أن أنزعه ؟ »

فعاد عمر الى الناس فقالوا له ما صنعت ؟

فقَال امضوا ثكلَتكُم أُمهَاتُكُم ، مالَقِيتُ في سَبِيلِكُم من خلِيفَةِ رَسُولِ الله » .

ثم نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة :

« ألا لا يبقيَنَّ بالمدِينَة أحد من جُنْد أُسامة إلا خرج إلى عَسْكَرِه بالجُرف » (١) .

وقام ابو بكر في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال :

«يا أَيُّهَا النَّاس ، إني وُلِّيتُ هذا الأَمر وأنا لَهُ كَارِه والله لوددتُ لو أنَّ بعضَكُم كَفَانِيه ؛ وإنَّمَا أنا مِثْلَكُم ، وإني لا أَدْري لَعَلَّكُم سَتُكَلِّفُوني ماكانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؛ إنَّ الله اصطفى مُحمَّدًا على العالمين ، وعَصَمه

---

(١) الجرف مكان على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

منَ الآفات وإنَّمَا أَنَا مُتَّبِـع ، ولستُ بِمُبْتَدِع ولَسْتَ بِخَيرِ مِنْ أَحَدِكُم ، فراعوني ، فإن رأَيتمُوني اسْتَقَمْت فتَابِعُوني وإن رَأَيْتمُوني زغت فَقَوِّمُوني ؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضَ وليس أَحد من هذه الأُمَّة يطلبُه بِمَظلمة ضربة سَوط فما دُونَهَا ، أَلا وإنَّ لِي شَيطَاناً يَعْتَرِينِي ، فَإِذا أَتاني فاجْتَنِبُوني لا أُؤَثر في أَشعارِكُم وأَبْشَارِكُم » .

ثم أشخص الجيش وتبعه وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابه أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفـة رسـول الله ، والله لتركبن او لأنزلن ، قال :

« والله لا تَنْزل ، ووالله لا أَرْكَب ، وما عَليَّ أَن أُغَبِّر قدميَّ في سبيل الله ساعة ، فإن للغَازِي في كلِّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتَب له ، وسبعمائة درجة تُرفَع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . »

ولما انتهى قال لأسامة : ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ، ثم قال ابو بكـر :

« يا أَيُّهَا النَّاس ؛ قِفُوا أُوصيكُم بِعَشْرٍ فاحفَظُوها عني : لا تَخُونوا ، ولا تغلُّوا ، ولا تغْدِرُوا ، ولا تمثِّلُوا ، ولا تَقْتُلُوا طِفْلا صَغِيرًا ولا شَيخاً كَبِيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا

تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيراً إلا لِمأكَله ، وسوف تَمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسَهم في الصَّوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفُسَهُم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا إسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله » .

ثم قال لأسامة :

« إصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إبدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل (١) ، ولا تُقَصِّرَنَّ في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

كتاب عمر الى ابي موسى الأشعري

وكتب عمر الى ابى موسى وهو بالبصرة :

بلغني أنك تأذن للناس الجَمَّاء الغفير . فإذا جاءك كتابي هذا فَأْذَن لأهل الشرف ، وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة ، ولا تؤخر عملَ

(١) آبل :ـ بلد بالاردن

اليوم لِغَدٍ ، فَتَتَدَاكُّ (١) عَلَيكَ الأَعمال فتضيع ، وإياك واتباع الهوىٰ ، فإن للناس أَهواء مُتَّبعة ، ودنيا مُؤْثَرَة ، وضغائن محمولة ، وحاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإنَّه مَنْ حَاسَبَ نَفْسه في الرَّخاءِ قَبْل حِساب الشِدَّة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومَنْ أَلْهَتْه حياته وشَغَلَتْهُ أَهواؤه عاد أَمره إلى الندامة والحسرة ، إنَّه لا يقيم أَمر الله في الناس إلا حصيف العقدة ، بعيد القرارة ، لا يَحْنَقُ على جِرَّة (٢) ، ولا يطَّلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف في الحق لومة لائم.

إِلْزَم أَرْبَع خِصال يَسْلَم لَكَ دِينك ، وتَحظ بأَفضَل حظِّك : إذا حضر الخصمان فَعَلَيكَ بالبَيِّنَات العدول ، أَو الأَيْمَان القَاطِعَة ، ثمَّ تأْذن لِلضَّعيف حتىٰ يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ ويَجترِيءَ قلبه ، وتَعَاهَدْ الغَرِيب فإنَّه إذا طال حَبْسه ترك حَاجَته وانصَرف إلى أَهله ، واحرص على الصلح مالم يَبِنْ لَكَ القَضَاءُ .

---

(١) تـزدحم ٠

(٢) ما يفيض به البعير فيأكله ثانية والمقصود لا يضمر الحقد والحنق ٠

كتاب عمر الى أبي موسى الأشعري
(في القضـــاء)

بِسْم الّله الرَّحمٰن الرَّحِيم : مِن عَبْد الّله عُمَر بن الخَطاب أَمِير المؤْمِنِين الىٰ عَبْد االّله بن قيس : سلام عليك .

أَما بعد .. فإن القضاء فريضة مُحكَمَة وسُنَّة مُتَّبَعَة ، فافْهَم إذا أُدْلي (١) إليك ، وانْفُذ إذا تَبَيَّنَ لَك ، فإنَّه لا يَنفَع تَكَلُّم بحق لا نفاذ له ، آس (٢) بين النَّاس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمَع شريف في حَيفك (٣) ولا يَيأَس ضَعِيفٌ مِن عَدْلِك . البيِّنَة على من ادَّعَىٰ واليَمِين على من أَنكَر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صُلحاً أَحَلَّ حَرَاماً أَو حرَّمَ حلالا ، ولا يَمْنَعَنَّك قضاءٌ قضيته اليوم (٤) فراجعت فيه عقلك وهُدِيتَ فيه لِرُشْدك ، أَن ترجع إلى ٱلْحَقِّ ، فإن الحق قديم ، ومراجَعَة الحق خير من التمادي في الباطل .

---

(١) أدلى بالحجة احتج بها .
(٢) سو بينهم واجعل بعضهم أسوة لبعض .
(٣) ميلك معه لشرفه .
(٤) في قول آخر .. بالامس ..

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلَجَ في صدركِ ممَّا لَيسَ في كتاب الله ولا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرف الأَشباه والأَمثال فَقِسِ الأُمور عِنْدَ ذٰلِكَ بِنَظَائِرِها ، واعْمَد إلى أقربها إلى الله وأَشبهها بالحق واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أَو بَيِّنة امداً ينتهي إليه ، فإن أَحضَرَ بَيِّنَته أَخَـذْت له بِحَقِّه ، وإلا استَحْلَلْت عليه القضية ، فإن ذلك أَنْفَى لِلشَّك ، وأَجلى للعمى ، وأَبلغ في العذر .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حد ، أَو مُجَرَّباً عليه شهادة زور ، أَو ظَنيناً (١) في ولاءٍ أَو نَسَب ، فإنَّ الله قَدْ تَوَلَّ مِنْكُم السَّرائر ، ودَرَأً (٢) بالبَيِّنَات والأَيمان ، وإيَّـاكَ والْغَلَق (٣) والضجر والتَّأَذِّي بالخُصُوم ، والتَّنَكُّر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأَجْر ، ويُحْسِن به الذُّخْر ، فمن صَحَّت نِيَّته ، وأَقبَلَ على نفسه ، كفاه الله مابينه وبين الناس ، ومَنْ تَخَلَّق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شانَهُ

---

(١) متهما .
(٢) دفع ــ الحديث (ادرءوا الحدود بالشبهات) .
(٣) ضيق الصـدر .
(٤) تكلف .

الله ، فما ذلك بثواب عند الله عز وجل . وخزائن رحمته . والسلام .

كتاب عمر الى أبي موسى الأشعرى
(في سياسة الدولة)

أما بعد . . فإن للناس نفرة عن سلطانهم . فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة (١) ، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا . فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا (٢) واذا كانت بين القبائل ثائرة (٣) وتداعوا يالفلان ، فإنما تلك نجوى (٤) الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا (٥) إلى أمر الله، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام، واستدم النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألف ، والمقدرة

---

(١) مفضلة .
(٢) كبل ايديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود .
(٣) عداوة وشحناء .
(٤) في صيغة أخرى : نخوة من الشيطان وهى الكبر والعظمة .
(٥) يعودوا .

والنُّصْرَة بالتَّوَاضع والمحبة للناس .

وقد بَلَغَ أَميرَ المؤمِنينَ أَنَّ ضبَّة تَدْعُو بالضَّبَّة ، وإني والله ما أعلم أَن ضبة ساق الله بها خيرًا قَطُّ ، ولا منع بها من سُوءٍ قط . فإذا جاءك كِتَابي هذا فانْتَهِكْهُم (١) عُقُوبَة حتى يَتَفَرَّقُوا إن لَمْ يَفْقَهُوا ، وأَلْصِقْ بِغَيْلان بن خَرَشَة من بَينهم ، وَعُدْ مَرْضَى المسْلِمين ، واشْهَدْ جَنَائِزَهُم ، وافتح بابك لهم ، وباشِرْ أَمرَهم بِنَفسك ، فإنَّمَا أَنْتَ امرؤٌ مِنْهُم غَيرَ أَنَّ الله جَعَلَكَ أَثْقَلَهُم حِمْلا .

وقَدْ بَلَغَ أَميرَ المؤمِنين أَنَّه قد فَشَتْ لَكَ ولأَهل بَيتك هَيئَة في لِباسك ومطعمك ومَرْكَبك لَيسَ لِلمُسلمين مِثْلُهَا ، فإيَّاك ياعبْدَ الله أَنْ تَكُونَ بِمَنزلة البَهِيمَة الَّتِي مَرَّت بِوَادٍ خِصْبٍ ، فَلَم يَكُن لَهَا همَّة إلا السِّمَن ، وإنَّمَا حَتْفُهَا في السمن .

واعلم أَن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاغَ العامِلِ زاغت رَعِيَّته ، وأَنَّ أَشْقَى النَّاس مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّته والسَّلام»

---

(١) اشتد في عقوبتهم .

كتاب عمر الى سعد بن أبي وقاص

عند غــزو فارس

كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد :
قال بعد حمد الله والثناء عليه :ـ

أما بعد . . فإني آمُرُكَ ومَنْ مَعَكَ مِنَ الأَجْنَاد بِتَقْوَىٰ الله على كل حــال ، فإن تقوىٰ الله أفضــل العــدَّة على العدُوِّ ، وأقوىٰ المكيدة في الحرب ، وآمُرُكَ ومن مَعَكَ أن تَكُونُوا أَشَدَ احتراساً من المعاصي مِنْكُم من عَدوِّكُم ، فإن ذُنُوب الجيش أخوف عَلَيهم من عَدُوِّهم ، وإنَّمَا يُنصر المسلمون بِمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكُنْ لَنَا بهم قوة لأَن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدَّتَنَا كَعدَّتهم ، فإن استَوَينا في المعصية كان لَهم الفضل عَلَينا في القوة ، وإلا نُنْصُر عَلَيهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إنَّ عدونا شرٌ مِنَّا ، فلن يُسَلَّط علينا ، فرب قوم سُلِّط عليهم شرٌ منهم ، كما سُلِّط علي بني اسرائيل ـ لما عملوا بمساخط الله ـ كفَّارُ المجوس ، فجاسوا خلال

الدِّيار ، وكان وعدًا مفعولا ، واسأَلوا الله العون على أَنفسكم كما تسأَلُونَه النَّصر على عدوِّكُم ، أَسأَل الله تعالى ذلك لنا ولـــكُم .

وتَرَفَّقْ بالمسْلمين في مَسيرِهم ، ولا تُجَشِّمْهُم مَسيراً يُتْعِبهُم ، ولا تُقَصِّر بهم عن مَنزل يرفُقُ بهم، حتىٰ يبلُغُوا عدوهم ـ والسَّفَرُ لم يُنْقِصْ قوتهم ـ فإنهم سائرون الي عدو مُقِيم ، حامى الأَنفُس والكراع (١) ، وأَقِم بِمَن مَعَكَ في كل جمعة يوماً وليلة ، حتي تكون لهم راحة يُحْيُون فيها أَنفُسهم ، ويُرمُّون أَسلحتهم وأَمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قُرىٰ أَهل الصلح والذِّمَّة ، فلا يدخلها من أَصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يَرْزَأْ (٢) أَحدًا من أَهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابْتُلِيتُم بالوفاء بها ، كما ابْتُلُوا بالصَّبر عليها ، فما صبروا لكم فَتَوَلَّوْهم خيرًا ، ولا تَسْتَنْصِرُوا على أَهل الحرب بظلم أَهل الصلح، فإذا وَطِئْتَ أَرض العدُوِّ فأَذْكِ العُيُون بينَكَ وبَينَهُم ،

---

(١) الخيـل .
(٢) يصـيب .

ولا يَخْفَ عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نُصْحِهِ وصدقه ، فإن ٱلْكَذُوب لا ينفعك خَبَرُه ، وإنْ صَدَقَكَ في بعضه ، وٱلْغَاشّ عَيْنٌ عليك ، وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دُنُوِّك من أرض ٱلْعَدُوّ أَن تكثر الطلائع وتبُثّ السَّرَايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا(١) أمدادهم ومرافقهم وتتَّبع الطلائع عوراتهم ، وتنَقَّ (٢) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتَخَيَّر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوًّا كان أول ماتلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخصَّ بها أحدًا بِهَوَي فَتُضَيِّعَ من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصَّتِك ، ولا تبعثنَّ طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية ، فإذا عاينت العدو ، فاضمم إليك أقاصيَك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوَّتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك قتال ، حتي تُبْصِرَ عورة عدوك ومقاتِله ، وتعرفَ الأَرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أَذْكِ أَحراسك على عسكرك وتَيَقَّظْ من البَيَاتِ جهدك ، ولا تُؤْتَيَ

(١) قطع من الجيش .
(٢) تنقاه — اختاره .

بأسير ليس له عقد (١) إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله وليّ أمرك ومن معك ، وولي النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

كتاب عثمان إلى أهل الموسم (٢)

أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه عبدالله بن عباس أن يحج بالناس في السنة التي قتل فيها (سنة ٣٥ هـ) وكتب معه الى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبد الله عثمان أمير المؤمنين ، إلى المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيِّنات ، وأوسع عليكم من الرِّزق ، ونصركم على العَدُوِّ ، وأسبغ عليكم نِعَمه ، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحَق :

(وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تحْصُوها ، إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ

---

(١) عهد .
(٢) بتصرف من الاصل جمهرة رسائل العرب ح ١

كَفَّارٌ) . ثم ذكرهم بآيات من الذكر الحكيم ، منها :

(أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِنْ تَنَازَعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوم الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلا) .

وقال ، وقوله الحق :

(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) . وقال أيضاً وقوله الحق :

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله ، يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِم فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيهِ اللهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً) .

أما بعـــد : فإن الله عزَّ وجلَّ رضي لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذَّركم من المعصية والفرقة والاختلاف ، ونَبَّأَكم بما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله جل وعز ، واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أُمَّة هلكت إلا من

بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتي ماتفعلون ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً ، وسُلِّطَ علَيكم عدوُّكم ، ويستَحِلَّ بعضكم حُرَمَ بعض ، ومَتَى يُفعل ذلك لا يَقُمْ لله سبحانه دين ، وتَكُونوا شِيَعاً ، وقد قال الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم :

(إنَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم في شَيءٍ إنَّمَا أَمْرُهُمْ إلى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

وإنِّي أُوصيكم بما أَوصاكم الله ، وأُحَذِّركم عذابه ، فإنَّ شُعَيباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه:

(وَيَا قومِ لا يجرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَو قَوْمَ هُودٍ أَو قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُم بِبَعِيد ، واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إلَيهِ إنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُود) .

أَما بعـــد : فإن أَقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث أَظهروا للناس أَنَّما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ، ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها ، فلما عُرِض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتي ، منهم آخذ للحق ونازِعٌ (١)

(١) نزع عن الأمر كضرب : كف وأبى .

عنه حين يُعْطَاه ، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يُرِيد أَن يَبْتَزَّه (١) بغير الحق ، طال عليهم عُمْري ، وراث (٢) عليهم أَملهم الإِمرة فاستعجلوا القدَر ، وقد كتبوا إِليكم أَنهم قد رَجَعوا بالذي أَعطيتُهم ، ولا أَعلم أَني تركتُ من الذي عاهدتهم شيئاً ، كانوا زعموا أَنهم يطلبون الحدود فقلت : أَقيموها على من علمتم تَعَدَّاها في أَحَد ، أَقيموها على من ظلمكم من قريب أَو بعيد ، قالوا : كتاب الله يُتْلى ، فقلت : فَلْيتلُهُ من تلاه غير غَال فيه بغير ما أَنزل الله في الكتاب ، وقالوا :ـ المحروم يرزق ، والمال يُوَفَّى ليُسْتَنَّ فيه السُّنَّة الحسنة ، ولا يُعْتَدَى في الخُمْس ولا في الصَّدَقة ، ويُؤَمَّر ذو القوة والأَمانة ، وتُرَد مظالم الناس إِلى أَهلها ، فَرَضِيتُ بذلك واصطبرت له ، وجئتُ نِسْوَةَ النبي صلى الله عليه وسلم حتي كَلَّمْتهنَّ فقلت: ما تأْمرْنَنِي ؟ فقُلْنَ : تُؤَمِّر عمرو ابن العاص (٣) ، وعبد الله بن قيس (٤) وتَدَعُ معاوية ، فإِنما

(١) يستلبه .

(٢) ابطأ عليهم .

(٣) مات « عمر » وعلي مصر « عمرو بن العاص » فلما ولى « عثمان » أقره على عمله أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى مكانه عبدالله بن سعد بن أبي سرح ـ وهو اخو عثمان من الرضاع .

(٤) هو أبو موسى الأشعرى ، وكان عاملا على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها وظل ست سنين ثم عزله عنها سنة ٢٩ هـ وولاها عبدالله ابن عامر ـ وهو ابن خال عثمان ـ فسار أبو موسى من البصرة الى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ـ وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤ هـ فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله « علي » عنها .

أَمَّرَه أمير قبلك ، فإنه مصلح لأرضه ، راضٍ به جُنْده، واردد عَمْراً فإن جُنده راضون به، فكلّ ذلك فَعَلْت ، وإنَّه اعتُدِيَ عَلَيَّبعد ذلك ،وعُدِيَ على الحَقِّ، كتبتُ إليكم وأصحابي الذين زَعَموا في الأمر استَعْجَلوا القَدَر ، ومَنَعوا منّي الصَّلاة (١) ، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتَزّوا ماقدروا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابي هذا وهم يُخَيِّرونَنِي إحْدَىٰ ثلاث : إمَّا يُقِيدونَني بكل رَجُلٍ أصبْتُه خطأً أو صواباً غير متروك منه شيءُ ، وإما أعتزل الأمر فيؤَمِّرون آخر غيري ، وإما يُرْسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فَيَتَبَرَّءُونَ من الذي جعل الله سبحانه لى عليهم من السمع والطاعة ، فقلت لهم : أما إقادتي من نفسي ، فقد كان من قَبْلي خلفاءُ تُخْطِيءُ وتصيب فلم يُسْتَقَدْ (٢) من أحد منهم ، وقد علمتُ إنما يريدون نفسي ، وأما أن أتبرَّأ من الإمارة فإن يَكْلُبُوني (٣) أحب إلي من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته ، وأما قولهم يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فَيَتَبَرَّءُون من طاعتي ، فلست عليهم بوكيل ، ولم

(١) لم يمكنونى من الصلاة .
(٢) استقاد :ـ ذل وخضع .
(٣) كلبه أي ضربه بالكلاب :ـ وهو قطعة الحديد التي على خف رائض الخيل .

أَكُنْ استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ، ولكن أَتَوْها طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ، ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدَّارَ الآخرةَ وصلاحَ الأُمة وابتغاءَ مرضاة الله عز وجل والسُّنَّة الحسنة التي اسْتَنَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضي الله عنهما ، فإنما يَجْزِي بذلكم الله ، وليس بيدي جَزَاؤُكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلها ، لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ماعنده ، فمن يَرْضَ بالنَّكْثِ منكم فإني لا أرضاه له ، ولا يرضي الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذي يخَيِّرُونَني فإنما كله النَّزْع والتأمير ، فملكتُ نفسي ومن معي ، ونظرتُ حُكْمَ الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكَرِهْتُ سُنَّة السوء وشقاق الأُمة وسفك الدماء .

فإني أَنشُدُكُم بالله والإسلام أَن لا تأْخذُوا إلا الحق وتُعطوه مني ، وترك البغي على أَهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أَمركم الله عز وجل ، فإني أَنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازرة في أَمر الله ، فإن الله سبحانه

قال وقوله الحق :

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا) .

فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تَذَّكَّرُون .

أما بعد فإني لا أُبرِّئ نفسي ، إنَّ النفس لأمَّارة بالسوءِ إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم ، وإن عاقبتُ أقواماً فما أبتغي بذلك إلا الخير ، وإني أتوب إلى الله - عز وجل - من كلِّ ما عملته وأَستغفره ، إنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربي وَسِعت كل شيءٍ ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القَوم الضالون ، وإنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم مايفعلون .

وأنا أَسأَل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم ، وأن يؤلف قلوب هذه الأُمة على الخير ، ويُكَرِّه إليها الفسق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أَيها المؤمنون والمسلمون .

فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية (١) بمكة بيوم ، ثم قفل الى المدينة واذا عثمان قد قتل .

---

(١) يوم التروية :- هو اليوم الثامن من ذى الحجة يتزود الحجاج فيه بالماء ، لانه كان قليلا بمنى فكانوا يتزودون من الماء لما بعد .

وَصيّة علي الى عثمان بن حنيف

بلغ علياً ـ كرم الله وجهه ـ أن عامله على البصـرة عثمان بن حنيف دعى الى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها فكتب اليه :ـ

«أَما بعـــد : يابن حُنَيف ، فقد بلغني أَن رجلا من فتية (١) أَهل البصرة دعاك إلى مَأْدُبَةٍ فأَسرعت إِليها ، تُسْتَطاب لك الأَلوان ، وتُنْقَل إليك الجِفان ، وما ظَنَنْتُ أَنك تُجِيب إلى طعام قوم عائلهم (٢) مَجْفُوّ ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ماتَقْضِمُه مِنْ هذا المَقْضَم ، فما اشتبه عليك علمه فالْفِظْه ، وما أَيقنت بطِيب وجوهه فَنَل منه .

أَلا وإن لكل مَأْموم إماماً يُقْتَدَيٰ به وتستضيءُ بنور علمه ، أَلا وإن إمامكم قد اكتفيٰ من دنياه بِطِمْرَيْه (٣) ومن طُعْمِهِ بِقُرْصَيْه ، أَلا وإنكم لا تَقْدرون على ذلك ، ولكن أَعينوني بِوَرَع واجتهاد ، وعِفَّة وسدَاد ، فوالله ما كَنَزْتُ مِن دنياكم تِبْرًا ، ولا ادَّخرتُ مِن غنائمها وَفرًا ، ولا أَعددت لِبالي ثوبي طِمْرا ، ولا حُزْتُ من أَرضها شبرًا ،

(١) يقال للشباب فتى وللسخى فتى .
(٢) فقـيرهم .
(٣) الطمـر :ـ الثوب البالى .

ولا أَخَذْتُ منها إلا كقوت أتانٍ دَبِرَة (١) ، ولَهِيَ في عَيني أَوهي وأَهون من عَفْصَة مِقِرَة (٢) .

بلى . . . كانت « فَدَكُ » (٣) من كل ما أَظلَّته السَّماءُ ، فَشَحَّت عليها نفوس قوم (٤) وسخت عنها نفوس قوم آخرين (٥) ، ونِعم الحَكَم الله ، وما أَصنع بفَدَك وغير فدك ، والنفس مَظَانُّهَا في غدٍ جَدَثٌ (٦) ، تنقطع فيه آثارها ، وتغيب أَخبارها ، وحُفرَة لو زِيد في فسحتها ، وأَوسعت يدا حافرها ، لأَضْغَطَها الحجر والمدر (٧) ، وسَدَّ فُرَجَها الترابُ المتراكم ، وإنما هي نفسي أُرَوِّضها بالتقوي ، لتأْتي آمنة يوم الخوف الأَكبر ، وتَثْبُتَ على جوانب المزلق (٨) .

ولو شِئتُ لاهتديت الطريق إلى مُصَفَّي هذا العسل ، ولُبَاب هذا القمح ، ونسائج هذا القَزِّ ، ولكن هيهات أَن

---

(١) الضعيفة قليلة الطعام .

(٢) العفصة :ـ ما يصنع منها الحبر ، والمقرة :ـ مرة المذاق .

(٣) قرية بخيبر بينها وبين المدينة يومان ـ فيها عين ونخل كثير ، أفاءها الله على رسوله صلحا سنة سبع ، فكانت خالصة له ، ينفق مايأتيه منها في أبناء السبيل ، فلما قبض عليه الصلاة والسلام ، طالب بها ورثته فاطمة والعباس .

(٤) يعنى العباس .

(٥) يعنى نفسه بوصفه زوجا لفاطمة .

(٦) قبر .

(٧) قطع الطين اليابس .

(٨) الصراط .

يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تَخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز وباليمامة من لاطمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أَو أَبيتَ مِبطاناً وحولي بُطُونٌ غَرْثَيٰ (١) ، وأَكباد حَرَّيٰ (٢) ، أَو أَكون كما قال القائل :

وحسبك عارًا أَن تَبِيت بِبِطْنَةٍ

وحولك أَكباد تحن إلى القِــدِّ (٣)

أأقنع من نفسي بأَن يقال : هذا أَمير المؤمنين ، ولا أُشاركهم في مكاره الدهر ، أوأَكون أُسوة (٤) لهم في جُشُوبَة (٥) العَيش ، فما خُلِقتُ ليشغلني أَكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، هَمُّهَا علفها ، أَو المرسلة شُغْلُها تَقَمُّمُها (٦) ، تكترش (٧) من أَعلافها ، وتلهو عمَّا يُرَاد بها ، أَو أُتْرَكَ سُديً وأُهمل عابثاً ، أَو أَجُرَّ حبل الضلالة ، أَو أَعْتَسف (٨) طريق المتاهة .

---

(١) جيــاع .
(٢) حارة من الظمأ .
(٣) القطعة من الخبز أو اللحم .
(٤) قــدوة .
(٥) خشــونة .
(٦) تتبعها القمامات والتقاطها .
(٧) تمــلأ كرشــها .
(٨) أركب الطريق على غير هدى .

وكأني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أَبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأَقران ، ومنازلة الشجعان ، أَلا وإن الشجرة البرية أَصلب عودًا ، والرَّوائع(١) الخَضِرَة أَرَقُّ جُلُودا ، والنَّابِتَاتُ البَدَوية (٢) أَقويٰ وَقُودا .

وأنا مِنْ رَسُول الله كالصِّنْوِ مِنَ الصِّنو (٣) ، والذراع من العَضُد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولَّيْت عنها ،ولو أَمكنت الفُرَص من رقابها لسارعتُ إليها ، وسأَجهد في أَن أُطهِّر الأَرض من هذا الشخص المعكوس (٤) ، والجسم المركوس (٥) حتي تخرج المدَرَة من بين حَبِّ الحَصِيد (٦) .

إليك عني يا دنيا ، فحبلك على غاربك (٧) ، قد انسللت من مخالبك ، وأَفْلَتُّ من حبائلك ، واجتنبتُ الذهاب في مداحِضِك (٨) ، أَين القوم الذين غررْتِهِم بِمَدَاعِبِك (٩) ، أَين

---

(١) الاشجار والأعناب التي يروقك حسنها ·

(٢) في صيغة أخرى « العذية » بكسر العين وسكون الذال وهى التي تروى بالمطر وبعيدة عن الماء فيصيبها من الماء قليل ·

(٣) من أصل واحد له ·

(٤) انعكست عقيدته عن الهدى الى معاكسة الحق والصواب ، ويقصد معاوية ·

(٥) من الركس :ـ وهو رد الشيء مقلوبا وقلب أوله على آخره ·

(٦) المدرة :ـ الطين اليابس ، والمقصود حتى يتطهر الدين منه ·

(٧) الغارب :ـ الكاهل ، والمقصود :ـ اذهبى حيث شئت ·

(٨) المزالق ·

(٩) بمداعبك :ـ أى مسراتك ·

الأُمم الذين فَتَنْتِهم بِزَخَارِفِك . هاهُمْ رَهَائِن ٱلْقُبُور . ومَضَامِين (١) اللحود. والله لو كنتِ شَخْصاً مَرْئِيًّا . وقالباً حِسِّيًّا ، لأَقَمْتُ عَلَيكِ حُدُود الله في عِبَادٍ غَرَرْتِهِم بالأَماني . وأُمم أَلْقَيْتِهم في المهاوي . وملوك أَسْلَمْتِهِمْ إلى التلف . وأَوردتهم موارد البلاء . إذ لا وِرْدَ ولا صَدَرَ (٢) . هيهات مَنْ وَطِيءَ دحْضَكِ زَلِقَ ، ومَن ركب لُجججِكِ غَرِق ، ومن ازْوَرَّ (٣) عن حبائلك وُفِّق ، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مُنَاخه . والدنيا عنده كَيَوْمٍ حَانَ انْسلاخه ، اعْزُبِي عَنِّي فَوَالله لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي ، ولا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِيني ، وأَيْمُ الله يميناً أَستثني فيها بمشيئة الله لأَرُوضَنَّ نفسي رياضة تَهشُّ معها إلى القُرْص إذا قَدَرتْ عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ، ولأَدَعَنَّ مُقْلَتي كعين ماءٍ نَضَبَ مَعينها ، مُستفرغةً دموعُها .

أَتمتلئُ السائمة من رعيها فتبرُك ، وتشبع الرَّبيضَة من عُشْبِها فَتَرْبِض ، ويأكل عَلِيٌّ من زاده فَيَهْجَع ، قَرَّت

---

(١) تحتويهم .
(٢) ورود الماء للشرب ثم الصدور عنه بعد ذلك .
(٣) مال وأعرض .

إذَنْ عَينه إذا اقتدي بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة (١) والسَّائمة المرعيَّة .

طُوبَىٰ لِنفس أَدَّت إلى ربِّها فَرْضَهَا ، وعركت بجنبها بُؤسَهَا (٢) وهجرت في الليل غُمْضَها ، حتيٰ إذا غَلَبَ الكَرَيٰ عليها ، افترشت أَرضها ، وتوسَّدَت كفَّهَا ، في معشر أَسْهَرَ عُيُونَهم خَوفُ مَعَادِهم ، وتجافت عن مضاجعهم جُنُوبهم ، وهَمْهَمَتْ (٣) بِذِكر ربهم شِفَاهُهُمْ ، وتَقَشَّعَتْ بِطُول استغفارهم ذُنُوبهم ، (أُولٰئِكَ حِزْبُ الله ، أَلاَ إنَّ حِزْبَ الله هُمُ اُلمفْلِحُونَ) .

فاتَّقِ الله يابن حنيف . . . ولتكفك أَقراصك ، ليكون من النَّار خلاصك » .

---

(١) السارحة بغير راع .
(٢) صبرت عليه .
(٣) الهمهمة :ــ الكلام الخفى وترديد الصوت .

كتاب علي للأشتر النخعي

ومن كتاب لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كتبه للأشتر النخعي ، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبى بكر ـ وهو أطول عهوده وأجمع كتبه للمحاسن يصلح مرجعا لكل حاكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أَمربه عبدالله عليٌّ أَميرالمؤمنين، مالك بن الحارث الأَشتر في عهده إليه ، حين ولاَّهُ مصر : جبايةَ خراجها ، وجهادَ عدوِّها ، واستصلاحَ أَهْلِها ، وعمارةَ بلادها ،

تقوى الله أَمره بتقوى الله ، وإيثارِ طاعته ، واتباعِ ما أَمر به في كتابه : من فرائضه وسننه ، التي لايسعد أَحد إلا باتباعها ، ولا يشقي إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأَن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فإنه ـ جَلَّ اسمه ـ قد تكفَّل بنَصْرِ مَنْ نَصَرَه ، وإعْزَازِ من أَعزه .

مراقبة النفس وأَمره أَن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس أَمَّارةٌ بالسوءِ ، إلا مارحم الله .

ثم اعلم ـ يامالك ـ أَني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك ، من عدْلٍ وجَوْرٍ ، وأَن الناس ينظرون من

أموركَ في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيكَ ما كنتَ تقولُ فيهم ، وإنما يستدلُ على الصالحين بما يجري الله لهم على أَلْسُنِ عباده ، فليكن أَحبَّ الذخائرِ إليك ذخيرةَ العملِ الصالحِ ، فاملك هَوَاك وشح بنفسك عما لا يحلّ لك ، فإن الشُحَّ بالنفس الإنصافُ منها فيما أَحبَّتْ أَو كَرِهَت . واشعر قلبَك الرحمةَ للرعية ، والمحبةَ لهم ، واللُطْفَ بهم ، ولا تَكُونَنَّ عليهم سَبعاً ضَارِياً تَغْتَنم أَكْلَهُم ، فإنهم صنفان : إما أَخٌ لك في الدين ، أَو نظيرٌ لك في الخَلْق ، يفرط منهم الزَّلَلُ ، وتَعْرِض لهم العللُ ، ويُؤتَى على أَيديهم في العَمْدِ والخَطَأ ، فاعطِهِم من عفوكِ وصَفْحِك مثلَ الذي تحب أَن يعطيك الله من عَفْوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالي الأَمر عليك فوقك ، والله فوق من وَلاَّك ، وقد استكفاك أَمرهم ، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدلك بِنِقْمَتِهِ ، ولا غِنَى بك عن عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ ، ولا تندمنَّ على عفوٍ ، ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فأُطَاع ، فإن ذلك إدغالٌ في القلب ، ومنهكةٌ للدين ، وتقربٌ من الغير .

الرحمة بالرعية

وإذا أحْدَثَ لك ما أَنت فيه من سُلْطَانِك أبّهة أو مَخِيلة ، فانظر إلى عِظَمِ مُلْكِ الله فوقك، وقُدْرَته منك على ما لاتقدر عليه من نفسك ، فإنَّ ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيُ إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماةَ اللهِ في عَظَمَتِهِ ؛ والتَّشَبُّهَ به في جَبَرُوتِهِ ، فإن الله يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، ويُهِينُ كُلَّ مُخْتالٍ .

العدل والانصاف

انْصِفِ اللهَ وانصف الناسَ من نَفْسِك ومن خاصَّةِ أَهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كان اللهُ خَصْمَهُ دون عباده ، ومن خَاصَمَهُ اللهُ أدحضَ حجته ، وكان لله حرباً حتي ينزع أو يتوب ، وليس شيءٌ أَدعيٰ إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم ، فإن الله سميعٌ دعوةَ المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصـــاد .

الوسط العادل

وليكن أَحبُ الأُمورِ إليك أَوسطها في الحق ، وأَعمها في العدل ؛ وأَجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة ، وليس أَحدٌ من الرعية أَثقلَ على الوالي مؤونة في الرخاءِ ، وأَقل

معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف. وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرًا عند الإعطاء، وأبطأ عذرًا عند المنع، وأضعف صبرًا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عمادُ الدين وجماعُ المسلمين، والعدة للأعداءِ العامةُ من الأُمة، فليكن صَغْوُكَ لهم، ومَيْلُكَ معهم.

اختيار الأعوان

وليكن أبعد رعيتك منك؛ وأشنأهم (١) عندك أطلبهم لمعائب الناس؛ فإن في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك. والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر (٢)، وتغاب عن كل ما لا يصلح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاشٌ، وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص،

---

(١) أبغضهم.
(٢) الانتقام أو الظلم.

غرائز شتي ، يجمعها سوءُ الظن بالله .

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرًا ، ومن شَرِكَهُم في الآثام فلا يكونن لك بطانة ؛ فإنهم أعوان الآثمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم (١) وأوزارهم (٢) ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، أُولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحني عليك عطفا وأقل لغيرك إلفاً ، فاتخذ أُولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمُرِّ الحق لك ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم علي أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من العزة .

محاسبة المسئولين

ولا يكونن المحسن والمسيءُ عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة

(١) الاصر : الذنب ٠
(٢) الوزر : الأثم ٠

السنة الصالحة

ولا تنقض سنَّة صالحة عمل بها صدور هذه الأُمة ، واجتمعت بها الالفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سُنَّة تضر بشيءٍ من ماضي تلك السنن ، فيكون الأَجر لمن سنها ، والوزر بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومنافثة الحكماء في تثبيت ماصلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلــك .

تصنيف الامة وتعاونها

واعلم أَن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غني ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أَهل الجزية والخراج من أَهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمي الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أَو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ـ عهدًا منه عندنا محفوظا .
فالجنود ، بإِذن الله ، حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأَمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي

يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع . ويؤتمنون عليه من خواص الأُمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأَيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أَهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل ، فَوَلِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، وممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأُمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أَحب إرشادهم : (يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ). فالرد إلى الله : الأَخذ بمحكم كتابه ، ، والرد إلى الرسول الأَخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

ثم اختر للحكم بين الناس أَفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأُمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادىٰ في الزلة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأَدنىٰ فهم دون أَقصاه ،

استعمال الولاة

ثم انظر في أُمور عمالك فاستعملهم اختبارًا ، ولا تولِّهم محاباة وأثرة ، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضا ، وأقل من المطامع إشرافاً ، وأَبلغ في عواقب الأُمور نظرًا . ثم أَسبغ عليهم الأَرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أَنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت

أَيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أَمرك أَو ثلموا أَمانتك ، ثم تفقد أَعمالهم ، وابعث العيون من أَهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأُمورهم حدوة لهم على استعمال الأَمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأَعوان ، فإن أَحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أَخبارُ عيونك ، اكتفيت بذلك شاهدًا ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأَخذته بما أَصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

وتفقد أَمر الخراج بما يصلح أَهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولاصلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأَن الناس كلهم عيال على الخراج وأَهله ، وليكن نظرك في عمارة الأَرض أَبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأَن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أَخرب البلاد وأَهلك العباد ، ولم يستقم أَمره إلا قليلا . فإن شكوا ثقلا أَوعلة أَو انقطاع شرب أَو بالة ، أَو إحالة أَرض اغتمرها غرق أَو أَجحف بها عطش ، خففت عنهم ، بما ترجو أَن يصلح به أَمرهم ، ولا يثقلن عليك

شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وإنما يؤتي خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتّابك فَوَلِّ على أُمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملإٍ ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقدًا اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأُمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء . ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرًا ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن

ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره . واجعل لرأس كل أمر من أُمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها . ولا يشتت عليه كثيرها . ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه أُلزمته .

استصلاح التجار والصناع

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأَوص بهم خيرًا : المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأَسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها . فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك .

واعلم — مع ذلك — أَن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً . واحتكارًا للمنافع . وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة . وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً : بموازين عدل . وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد

نهيك إياه فنكل به ، وعاقبه في غير إسراف .

رعاية المحتاجين

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً . واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصي منهم مثل الذي للأدني ، وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تُصَعِّر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ؛ وتحقره الرجال . ففرِّغ لأُولئك ثقتك من أَهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أُمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ... فإن هؤلاء من بين الرعية أَحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه . وتعهد أَهل اليُتْم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسأَلة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل - والحق كله ثقيل - . وقد يخففه الله على أَقوام طلبوا العاقبة فصبروا أَنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرَطك حتي يكلمك متكلمهم غير متتعتع ، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول في غير موطن : «لَنْ تُقَدَّس أُمَّة لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْر مُتَتَعْتِع» . ثم احتمل الخرق منهم والعيَّ ، ونحِّ عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطَيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار .

النظام الاداري ثم أمورٌ من أمورك لا بد لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كُتَّابُك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك . وامْضِ لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم مافيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأَجْزَلَ تلك الأَقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية .

العبادة وليكن في خاصة ماتخلص به لله دينك : إقامة فرائضه

التي هي له خاصة ، فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووفِّ ماتقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ . وإذا قمت في صلاتك للناس ، فلا تكونن منفِّرًا ولا مضيِّعاً ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين وجهني إلى اليمن كيف أُصلي بهم ؟ فقال : « صلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهم ، وكُنْ بالمؤْمِنِينَ رَحِيْماً . »

أما بعــد ، فلا يَطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويُشاب الحق بالباطل . وإنّما الوالي بشر لا يعرف ماتواري عنه الناس به من الأُمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أَنت أَحد رجلين : إما امرؤٌ سخت نفسك بالبذل في الحق ، ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه ، أَو فِعْل كريم تسديه ، أَو مبتلي بالمنع ، فما أَسرع كف الناس عن مسأَلتك إذا أَيسوا من بَذْلِك مع أَن أَكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة أَو طلب إنصاف في معاملة .

الاحتراس من البطانة

ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أُولئك بقطع أَسباب تلك الأَحوال . ولا تقطعن لأَحد من حاشيتك وخاصّتك قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة ، تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أَو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على

غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعَيْبُهُ عليك في الدنيا والآخرة .

التزام الحق

والزِم الحق من لزمه من القريب والبعيد . وكن في ذلك صابرًا محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصَّتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة .

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر(١) لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك ، وإعذارًا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

العهود والمصالحات

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً ، فإن في الصلح دعة لجنودك ،وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله

(١) أظهره .

شيءٌ الناس أَشد عليه اجتماعاً ، مع تفرُّق أَهوائهم ، وتشتُّت آرائهم من تعظيم الوفاءِ بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبِلُوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسَنَّ بعهدك ولا تختلن عدُوَّك ، فإنه لا يجتريءُ على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أَمناً أَفضاه بين العباد برحمته ، وحَرَماً يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره . فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يَدْعُوَنَّكَ ضيقُ أَمر ، لزمك فيه عهد الله ، إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أَمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته . وأَن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .

الدماء

إياك والدماءَ وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أَدنى لنقمة ، ولا أَعظم لتبعة ، ولا أَحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك الدماءِ بغير حقها ، والله سبحانه مبتديءٌ بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماءِ يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه

ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولاعندي في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن . وإن ابتُلِيت بخطإ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدى إلى أولياء المقتول حَقَّهم

وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق مايكون من إحسان المحسنين .

المن على الرعية

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التَّزَيُّدَ فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس . قال الله تعالى : (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ) .

الزناة

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل أمر موقعه .

ضبط النفس

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أُسوة ، والتغابي عما

تعني به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك . وعما قليل تنكشف عنك أغطيـــة الأُمور ، ويُنْتَصَفُ منــك للمظلوم ، امْلكْ حميَّة أَنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتـأخير السطوة ، حتي يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تُحْكِمَ ذلك من نفسك حتي تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك .

حسن الاقتدار

والواجب عليك أَن تتذكر مامضي لمن تقدمك من حكومة عادلة ، أَو سنَّة فاضلة ، أَو أَثر عن نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أَو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ماعهدتُ إليك في عهدي هـذا ، واستوثقت به من الحجة انفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها . وأنا أَسأَل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أَن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الأَثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأَن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، إنا إليه

راجعون . والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – تسليماً كثيرا ، والسلام

وَصيّة علي لابنه الحسن

ومن وصية لعلي بن ابي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما – كتبها اليه بحاضرين (١) منصرفاً من صفين ، يصف نفسه وأولاده في معرض الوعظ والتنفير من الدنيا .

مِنَ الوَالِد الفَان ، المُقِرّ للزّمَان (٢) ، المُدْبِر العُمْر ، المُسْتَسْلِم للدّهْر ، الذّامّ للدُّنْيَا ، السّاكن مَسَاكنَ المَوْتَى ، والظّاعن عَنْهَا غَدًا ، إلى المَوْلُود المُؤَمِّل مَا لا يُدْرَكُ (٣) ، السّالك سَبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَض الأَسْقَام وَرَهينَةِ الأَيّام ، وَرَمِيَّةِ المَصَائِبِ ، وعَبْدِ الدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ الغُرُورِ ، وَغَرِيم المَنَايا ، وأَسِير المَوتِ ، وحَلِيفِ الهُمُوم ، وقَرِينِ الأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ الآفَاتِ ، وصَرِيع الشَّهَوَاتِ ، وخَلِيفَة الأَمْوَات .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ فيمَا تَبَيَّنْتُ منْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي

(١) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين .
(٢) المعترف له بالشدة .
(٣) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد .

وجُمُوح الدَّهْرِ (١) عَلَيَّ ، وإقْبَالِ الآخِرَةِ إليَّ ، مَا يزَعُني عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ ، والاهْتِمَام بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي دُونَ هُمُوم النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأيِي ، وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَىٰ بِي إلى جِدٍّ لايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وصِدْقٍ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، ووَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حَتَّىٰ كَأَنَّ شَيْئاً لَو أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وكَأَنَّ المَوتَ لو أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيكَ مُسْتَظْهِرًا بِه (٢) إنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَو فَنِيتُ .

فإني أُوصيك بِتَقْوَىٰ اللهِ - أي بُنَيَّ - ولُزُوم أَمْرِهِ ، وَعِمَادَةِ قَلبكَ بِذِكْرِهِ ، والاعْتِصَام بِحَبله . وأيُّ سَبَبٍ بينك وبَيْنَ اللهِ إنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِـــه

أَحْيِ قَلْبَكَ بالمَوْعِظَة ، وَأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ ، وقَوِّهِ بِالْيَقِين ، ونَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ ، وقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ (٣) ، وبَصِّرْهُ فَجَائِــعَ الدُّنْيَا ، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّام ، واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ ، وذَكِّرْهُ

(١) استعصاء الدهر وتغلبه .
(٢) مستعيناً بما أكتب اليك على ميل قلبك وهوى نفسك .
(٣) اطلب منه الاقرار بالفناء .

بِمَا أَصَاب مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِين ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِم وآثَارِهِمْ فانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا ؟ وعَمَّا انْتَقَلُوا ؟ وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا ؟ ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُم قَد انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّة ، وحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ ، فَأَصْلح مَثْوَاك ، ولا تَبِعْ آخِرَتكَ بِدُنْيَاكَ ، ودَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ ، والْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّف ، وامسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ ، فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حيرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَال ، وَأمُرْ بِالمعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِه ، وانْكِرِ الْمنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ (١) وجَاهِدْ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ ، ولا تَأْخُذْكَ فِي الله لَوْمَةُ لائِم ، وَخُضِ الغَمَرَاتِ (٢) لِلْحَقِّ حَيْثُ كان ، وتَفَقَّه في الدين ، وعَوِّدْ نفسك التَّصَبُّرَ على المكْرُوه ، ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّر ، وَالْجِئْ نَفْسَك في الأُمور كلها إلى إلٰهك ، فَإِنَّك تُلجِئها إلى كهف حَرِيز (٣) ، ومَانِعٍ عَزِيزٍ ، وأَخْلِص في المسأَلة لِرَبك ، فإن بِيَدِه العَطَاءَ والحرمان ، وأَكْثِرِ الاستِخَارَة (٤) وتَفَهَّم وصِيَّتِي ،

---

(١) باين : أى باعد وجانب الذي يفعل المنكر .
(٢) الغمرات :ـ الشدائد .
(٣) الكهف : الملجأ . والحريز : الحافظ .
(٤) الاستخارة : اجالة الرأى في الأمر قبل فعله لاختيارأفضل وجوهه .

ولا تذهبنَّ عنها صَفحاً (١) فإنَّ خيرَ القول مانفع ، واعلم أَنَّهُ لاخَيْرَ في علْم لايَنْفَع ، ولا يُنْتَفَعُ بِعِلْم لايَحِقُّ تَعَلُّمُـــــهُ .

أَي بُنَيَّ .. إني لما رأيتني قد بلغت سِنًّا ، ورأَيتني أَزداد وَهْناً ، بادرتُ بوصيتي إليك ، وأَوردت خصالا منها قبل أَن يعجل بي أَجلي دون أَن أُفضي إليك بما في نَفْسي ، وأَن أَنقُصَ في رَأْيِي كما نَقَصْتُ في جسمي ، أَو يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بعض غَلَبَاتِ ٱلْهَوَيٰ وفِتَن الدُّنيا ، فتكون كالصَّعْبِ النَّفُورِ (٢) وإنَّمَا قلب الحدث كالأَرض الخالية ما أُلْقِيَ فيها من شيءٍ قَبِلَتْهُ ، فبادرتُك بالأَدب قبل أَن يَقْسو قلبك ، ويشتغل لبُّك ، لتستقبل بِجدِّ رأْيك من الأَمر ما قد كفاك أَهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كُفِيتَ مؤُونة الطلب ، وعُوفِيتَ من علاج التجربة ، فأَتاك مِن ذلك ما قد كنا نأْتيه ، واستبان لك ما رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَينـــــا منه .

الاعتبار بمن مضى

أَي بُنَيّ ... إنِّي وإن لم أَكُنْ عُمِّرتُ عُمر من كان

---

(١) تذهب عنها صفحا : أى لا تعرض عنها .
(٢) الصعب : الفرس غير المذلل ، والنفور : ضد الأنس .

قبلي ، فقد نظرت في أَعمالهم ، وفكَّرتُ في أَخبارهم ، وسرت في آثارهم حتي عدت كأَحدهم ، بل كأَني بما انتهي إلي من أُمور هم قد عُمِّرت مع أَولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أَمر نَخِيلَهُ (١) وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأَيت حيث عناني من أَمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأَجمعت عليه من أَدبك أَن يكون ذلك وأَنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذو نِيَّة سليمة ونفس صافية ، وأَن أَبْتَدِئَكَ بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأَحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره ، ثم أَشفقت أَن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أَهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهَلَكَةَ ، ورجوت أَن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأَن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك وصيتي هذه .

الوصية بالتقوى

واعلم يابني ، أَن أَحب ما أَنت آخذ به إلي من وصيتي تقوي الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأَخذ بما

---

(١) النخيل : المختار المصفى .

مضي عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردَّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلَّفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتَفَهُّم وتَعَلُّم ، لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَات وعُلُوِّ الخصومات ، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلٰهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أَوْلَجَتْكَ (١) في شُبُهَة ، أو أَسْلَمَتْكَ إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخَشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همُّك في ذلك همّاً واحدًا ، فانظر فيما فسرت لك ، وإن لم يجتمع لك ماتحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء (٢) وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل .

فَتَفَهَّم يابُنَيَّ وَصِيَّتِي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت، وأن المُفْني هو المعيد ، وأن

---

(١) أو لجتك : أدخلتك .
(٢) العشواء : الضعيفة البصر .

المبتلي هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ماجعلها الله عليه من النعماء والابتلاء ، والجزاء في المعاد أو ماشاء مما لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيءٌ من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ماخلقت جاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك(١).

واعلم يابني أن أحدًا لم ينبيء عن الله كما أنبأ عنه الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فارض به رائدًا ، وإلى النجاة قائدًا ، فإني لم آلك نصيحة (٢) وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك ـ وإن اجتهدت ـ مبلغ نظري لك . براهين الوحدانية

واعلم يابني أنه لوكان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبدًا ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية (٣) ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عَظُمَ عن أن تثبت

(١) شفقتك : خوفك .
(٢) لم آلك نصيحة : اى لم اقصر في نصيحتك .
(٣) فهو أول بالنسبة الى الاشياء لكونه قبلها ، الا أنه لا أولية ، أى ابتداء له .

ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خَطَرِهِ ، وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه ، في طلب طاعته ، والرهبة من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح .

يابني .. إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أُعِدَّ لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها ، إنما مثل من خَبَرَ الدنيا كمثل قوم سَفْرٍ (١) نبا بهم منزل جديب فأمُّوا منزلاً خصيباً وجناباً مَرِيعاً (٢) فاحتملوا وَعْثَاءَ الطَّرِيق (٣) وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة (٤) المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ، ولا يرون في نفقة مغرماً ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم ، وأدناهم من محلهم .

ومثل من اغْتَرَّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبا

---

(١) سفر : مسافرون .
(٢) جنابا مريعا : ناحية كثيرة العشب .
(٣) وعثاء الطريق : مشقته .
(٤) جشوبة المطعم : الغلظ .

بهم إلى منزل جديب ، فليس شيءٌ أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

ميزان الاعتدال

يابني . . . اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ،

واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك(١) ، وإذا أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة (٢) ومشقة شديدة ، وأنه لا غني لك فيه عن حسن الارتياد ، قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، وإذا وجدت من أهل

---

(١) اى لا تخزن المال ليأخذه الوارثون بعدك ، بل انفق فيما يرضى الله
(٢) هو طريق السعادة الابدية .

الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة ، فيوافيك به غدًا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

الجنة والنار

واعلم أن أمامك عقبة كؤودًا (١) ، المخِفُّ فيها أحسن حالا من المثقل ، والمبطئُ عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطئ المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب (٢) ، ولا إلى الدنيا منصرف .

الثقة في الله

واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض ، قد أذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعالجك بالنقمة ، ولم يعيرك بالإنابة (٣) ولم يفضحك حيث الفضيحة

---

(١) صعبة المرتقى .
(٢) الاستعتاب : الاسترضاء .
(٣) الرجوع الى الله .

بك أولى ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عَشْرا ، وفتح لك باب المتاب ، فإذا ناديته سمع نداءك ، وإذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت إليه بحاجتك ، وأبثثته (١) ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق ، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته ، فمتي شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شآبيب رحمته (٢) فلا يقنطنك إبطاءُ إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، وربما أُخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل ، وربما سألت الشيءَ فلا تؤتاه وأُوتيت خيرًا منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقي لك

(١) كاشفته .
(٢) الشؤبوب : الدفعه من المطر .

جماله ، وينفي عنك وباله ، فالمال لا يبقي لك ولا تبقي له .

واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة ، وأنك في منزل قلعة (١) ودار بلغة (٢) ، وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة ، فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا انت قد اهلكت نفسك .

ذكر الموت

يابني ، أكثِر مِنْ ذِكر الموت ، وذكر ماتهجم عليه ، وتفضي بعد الموت اليه ، حتي يأتيك وقد اخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتةً فيبهرك ، وإياك أن تغتر بما تري من إخلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونعت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فإن أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهرُّ بعضها بعضا ، ويأكل

---

(١) لا يدرى متى يتنقل عنه .
(٢) البلغة : الكفاية .

عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها .
نعم معقلة ، وأُخري مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث . ليس لها راع يقيمها ، ولا مقيم يسيميها ، سلكت بهم الدنيا طريق العمي ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدي ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها رباً ، فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها .

الترفق في الطلب

رويدا يُسْفِر الظلام ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ ، يوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ ، واعلم أَن من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يُسَار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً .

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك في سبيل من كان قبلك ، فخفض في الطلب ، وأَجْمِل في الُمكْتَسب ، فإنهُ رُبَّ طلب قد جَرَّ الي حرب ، فليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن كل دنية ، وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك

اللهِ حُرًّا ، وما خير خيرٍ لايُنَال إلا بِشَرٍّ ، ويُسْر لا يُنَال إلا بِعُسْر .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نِعمة فافعل ، فإنك مُدركٌ قِسمك ، وآخذٌ سهمك ، وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كــل منه .

« وصـاياشــتي »

وتلافيك مافرط من صمتك أيسر من إدراكك مافات من منطقك ، وحفظ مافي الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ مافي يديك أحب إليَّ مِن طلب مافي يد غيرك ، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغِنَيٰ مَعَ الفُجُور ، والمرءُ أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجَرَ ، ومَنْ تَفَكَّر أبصر ، قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً ، ربما كان الدواءُ داءً ، والداءُ دواء ، وربما نصح غير الناصح وغشَّ المستنصح ، وإياك

واتكالك على الُمنَي فإنها بضائع الموتي ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ماجربْتَ ما وعظك ، بادر الفرصة قبل أَن تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب ، ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد ، ولكل أَمر عاقبة ، سوف يأتيك ماقدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يســير أَنْمَي من كثير ، لا خيَر في معين ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ماذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، وإياك أَن تجمح بك مطية اللجاج .

حق الأخ

احمل نفسك من أَخيك عند صرمه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر حتي كأَنك له عبد ، وكأَنه ذو نعمة عليك. وإياك أَن تضع ذلك في غير موضعه ، أَو أَن تفعله بغير أَهله ، لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أَو قبيحة ، وتجرع الغيظ فإني لم أَر جرعة أَحلى منها عاقبة ولا أَلذ مغبة ، وَلِنْ لمن غالظك فإنه يوشك أَن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فإنه أَحلى الظفرين ، وإن أَردت قطيعة أَخيك فاستبق

له من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما ، ومن ظن بك خيرًا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أَخيك اتكالا على مابينك وبينه ، فإنه ليس لك بأَخ مَنْ أَضعت حقه ، ولا يكن أَهلك أَشقي الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد فيك ، ولا يكونن أَخوك أَقوي على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الإساءة أَقوي منك على الإحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه يسعي في مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك أَن تسوءه .

امر الرزق

واعلم يابني ، أَن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن أَنت لم تأته أَتاك ، ما أَقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغني ، إن لك من دنياك ما أَصلحت به مثواك ، وإن جزعت على ما تفلَّت من يديك فاجزع على كل مالم يصل إليك ، استدل على مالم يكن بما قد كان ، فإن الأُمور أَشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العِظَة إلا إذا بالغت في إيلامه ، فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوي

شريك العناء ، رُبَّ قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدي الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقي له ، وأوثق سبب أخذت به سَبَبُ سَبَبٍ بينك وبين الله ، ومن لم يبالك فهو عدوك ، قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً ، ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمي رشده . أخِّر الشر فإنك إذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه ، ليس كل من رمي أصاب ، إذا تغير السلطان تغير الزمان ، سَلْ عَنِ الرَّفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكاً ، وإن حكيت ذلك عن غيرك .

الرأى في المرأة

وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب أبقي عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن اسْطَعْتَ أن

لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ماجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في أن تشفع بغيرها . وإياك والتغاير في غير موضع غيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى الريب ، واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به ، فإنه أحري أن لا يتواكلوا في خدمتك ، وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذي تطير به ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول .

دعـــاء

أستودع الله دينك ودنياك . . . واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسلام .

وصّية علي لكميل بن زياد

قال كميل بن زياد : أخذ بيدى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فأخرجني الىَ « الجبـان » وتنفس الصعداء ، ثم قال :

يا كميل بن زياد ؛ إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ،

وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

يا كميل . . العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

يا كميل بن زياد . . معرفة العلم دين يُدَان به ، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل ، هلك خزان الأَموال ، وهم أَحياء والعلماء باقون مابقي الدهر : أَعيانهم مفقودة ، وأَمثالهم في القلوب موجودة ، ها إن ههنا لعلماً جماً (وأشار بيده إلى صدره) لو أَصبت له حمله ؟ بلى أَصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملا آلة الدين للدنيا ، ومستظهرًا بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه ، أَو منقادًا لحملة الحق ، لا بصيرة له في أَحنائه ، ينقدح الشك في قلبه لأَول عارض من شبهة ، أَلا لا ذا ولا ذاك ؟ أَو مَنْهُوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أَو مغرماً بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين في شيءٍ ، أَقرب شيءٍ شبهاً بهما الأَنعام السائمة ! ! كذلك يموت العلم بموت

حـامليه .

اللهم بلى !! لا تخلوا الأَرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهرًا مشهورًا ، أَو خائفاً مغمورًا ، لئلا تبطل حجج الله وبَيِّنَاتِه ، وكم ذا وأَين أُولئك ؟ أُولئك - والله - الأَقلون عددًا ، والأَعظمون عند الله قـدرًا ، يحفظ الله بهم حججه وبيناته ، حتي يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب أَشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استعوره المترفون ، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بـأَبدانٍ أَرواحها مُعَلَّقة بالمحل الأَعلى ، أُولئك خلفاءُ الله في أَرضه ، والدعاة إلى دينه . . . آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ، إنصرف يا كميل إذا شئت .

الباب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية

وصيّة أكثم بن صيفي الى طيئ

روى أبو الفضل الميداني في مجمع الامثال أن أكثم بن صيفى كتب الى طيىء بوصية ، هى :

«أُوصيكُم بِتَقْوَيٰ الله وصِلَة الرحم ، وإياكم ونِكَاح الحمقاء فإن نكاحها غرر (١) ، وولدها ضياع ، وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رِقاب الإبل في غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة (٢) ، ورقوء (٣) الدم ، وبألبانها يتحف الكبير ، ويغذيٰ الصغير ، ولو أن الإبل كلِّفت الطحن لَطَحَنت ، ولن يهلك امرؤٌ عرف قدره ، والعُدْمُ عُدْم العقل لا عدم المال ، ولرجلٌ خير من ألف رجل ، ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضي بالقَسْم (٤) طابت معيشته ، وآفة الرأي الهويٰ ، والعادة أَمْلك (٥) ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغني ، والدنيا دول : فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داءٌ ليس له دواءٌ

---

(١) مخاطرة .
(٢) يريد مهرها .
(٣)رقأ الدم :ـ جف وسكن ، والمعنى أنها تعطى في الديات فتحقن الدم .
(٤) القدر .
(٥) في رواية (أملك من الأدب) .

والشماتة تُعْقِب . ومَنْ يَر يَوماً يُرَ بِه ، قبل الرِّماء تُمْلأُ الكَنَائِن ، الندامة مع السفاهة ، دعامة العقل الحلم ، خير الأُمور مغبَّةً الصبر ، بقاءُ المودة عدل التعاهد (١) ، من يَزُر غِبّاً يُزْدَد حُبّاً ، التغرير مفتاح البؤس ، من التواني والعجز نُتِجَتِ الهلكة (٢) ، لكل شيءٍ ضراوة (٣) ، فَضَرِّ لسانك بالخير ، عِيُّ الصمت أَحسن من عيّ المنطق ، الحزم حفظ ما كُلِّفت وترك ما كفيت ، كثير التنصح يهجم على كثير الظِّنَّة .

مَنْ أَلْحَفَ في المسأَلة ثَقُل ، من سأَل فوق قدره استحق

حتمية الأجل

خرج أعرابيٌ هارباً من الطاعون فلدغته أفعَى في طريقه فمات ، فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبْغي نَجْوَةً — من هَلاَكٍ فَهلَك
ليتَ شِعرِى ضَلَّةً — أيُّ شيء قتَلك ؟
طافَ يَبْغي نجوةً — من هَلاَكٍ فَهلَك
ليتَ شِعرِي ضَلَّةً — أيُّ شيءٍ قتلك ؟
والمنايا رَصد — للفتى حيث سلك
كلُّ شيء قاتِلٌ — حين تلقى أجلك

(١) في استقامة التعاهد والحرص على سلامة الشروط .
(٢) ويروى (نتجت الفاقة) .
(٣) تعود .

وصية ذي الأصبع العدواني لابنه [1]

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذوالأصبع دعى ابنه أسيدا فقال له :

«يا بُنَيَّ ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتي سئم العيش ، وإني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغتُهُ فاحفظ عني : أَلِن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ،وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودّتك صغيرهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأَعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع إلى النهضة في الصريخ فإن لك أَجلا لايعدوك ، وصن وجهك عن مسأَلة أَحد ، فبذلك يتم سؤددك ، ثم أَنشأَ يقول :

أَأُسَيْد إن مالاً ملكـــت فسر به سيرًا جميلا
آخِي الكرام ان استطعـــتَ إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإن شربوا به السم الثميلا
أَهن اللئـــام ولا تكن لإخائهم جملا ذلولا

---

(١) كتاب الاغانى : الجزء الثالث ٠

إن الـــــكرام إذا تؤا خيهم وجـــدت لهم قبولا

ودع الذي يعــد العشيـ يرة أن يسيل ولن يسيلا

أبني إن المــــال لا يبكي إذا فقد البخيلا

أأسيد إن أزمعت مــن بلد إلى بلد رحيــلا

فاحفظ وإن شحط المزا ر أخا أخيكَ أوِ الزّميلا

واركب بنفسك إن هممت بها الحزونــة والسهولا

وصل الكرام وكن لِمن ترجو مودته وصولا

ودع التــواني في الأمو ر وكن لها سلساً ذلولا

وابسط يمينك بالنــدي وامدد لها بــاعاً طويلا

وابسط يديك بما ملكــ ـت وشيِّد الحسب الأثيلا

واعزم إذا حــاولت أمـ ـرًا يفرج الهم الدخيلا

ابذل لضيفك ذات رحـ ـلك مكرماً حتي يزولا

واحلل على الايفــاع للعا فيــن واجتنب المسيلا

وإذا القروم تخــاطرت يوماً وأرعدت الخصيلا

فاهصر كهصر الليث خَضَّـ ـب من فريسته التليلا

وانزل إلى الهيجــا إذا أبطـالها كرهوا النزولا

وإذا دعيت إلى المهم فكا ن لفـــادحه حمولا

وَصِيَّة أُمامَة بنت الحارث لابنتها (١)

كان ملك من ملوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندى ، بلغه عن ابنة لعوف الكندى جمال وكمال ، وهو الذى يقال له : لا أحد يشبه عوفا جمالا وكمالا ، فبعث الى امرأة من قومها ، يقال لها عصام ، فقال : انه بلغنى عن بنت عوف جمال وكمال ، فاذهبى ، فاعلمى لى علمها .

فانطلقت حتى اذا دخلت على أمها ، وهي أمامة بنت الحارث ، فاخبرتها خبر ما جاءت له ، واذا أمها كأنها خاذل (٢) من الظباء ، وحولها بنات لها كأنهن شوادن (٣) الغزلان فأرسلت الى ابنتها ، فقالت يا بنية ، ان هذه خالتك أتتك لتنظر الى بعض شأنك فاخرجي اليها . ولا تستتري عنها بشيء ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه فدخلت عليها ، ثم خرجت من عندها وهي تقول :

«تَرَكَ الخداعَ من كَشَفَ القِناع » . فأَرسلتها مثلا

فلما جاءت الى الحارث قال : ماوراءك يا عصام ؟

قالت : أيها الملك، صرَّح المخض عن الزبد . فارسلتها مثلا .

ثم قالت : اقول حقا . وأخبرك صدقا ؛ ثم وصفتها وصفا دقيقا مفصلا كأجمل الفتيات حسنا .

فبعث الحارث الى أبيها يخطبها فزوجها اياه .

فلما حان أن تحمل الى بيت زوجها أو صتها أمها فقالت :ـ

«أَي بُنَيَّة ؛ إِن الوصيَّة لو تُرِكَتْ لعقل وأَدب . أَو مكرمة في حَسَب لتركتْ ذلك منك . ولَزَوَيتهُ عنك . ولكن

---

(١) « المعمرون والوصايا »
(٢) الخاذل :ـ الظبية أقامت على ولدها .
(٣) المستغنية عن أمهاتها .

الوَصِيَّة تذكِرَة للعاقل ، ومَنْبَهَة لِلغَافِل .

أَي بنية ؛ إنه لو استغنت المرأة بِغنَي أَبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أَغنيٰ الناسِ عن الزَّوج ، ولٰكِنْ للرجال خُلِقَ النِّساءُ ، كما لَهُنَّ خُلِقَ الرِّجال .

أيَ بُنَيَّة ، إنك قد فارقت الحِوَاءَ الذي منه خرجتِ ، والوكر الذي منه درجتِ ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقَرِين لم تألَفيه ، فأَصبح بملكه عليك ملكاً ، فكوني له أَمَةً يكن لك عبدًا ، واحفظي عني خلالا عشرًا ، تكن لك دَرَكاً وذِكرًا ، فأَما الأُولى والثانية فالمعاشرة له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، فإن في القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرَّب .

وأَما الثالثة والرَّابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أَنفه منك إلا طيب الريح . واعلمي ، أَي بنية ، أَن الماءَ أَطيب الطيب المفقود ، وأَن الكحل أَحسن الحسن الموجود .

وأَما الخامسة والسادسة : فالتَّعهد لوقت طعامه ، والهُدُوّ عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَة ، وتَنغِيص النَّومة مَغْضَبَـة .

وأَما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه (١) وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ،

(١) ذوى القربى .

والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشي له سرًا ، ولا تعصي له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سِرَّه لم تأمني غَدْره ، وإن عصيتِ أمره أَوْغَرْتِ صدره .

واتّقِي الفرح لديه إن كان ترِحاً (١) ، والاكتئاب عنده إذا كان فَرِحاً ، فإن الأُولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

واعلمي أنك لن تَصِلي إلى ذلك منه حتي تُؤثري هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ؛ فيما أحببت وكرهت .

والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته » .

فلما حملت اليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .

كتاب أكثم إلى النعمان بن خميصة

روى ابو هلال العسكرى في جمهرة الامثال قال :

كتب النعمان بن خميصة البارقى الى أكثم بن صيفى « مثل لنا مثالا ناخذ به » فقال :

« قد حلبتُ الدهر أَشطره فَعَرَفْتُ حُلوه ومُرَّه »

عين عرفتْ فذرفَتْ . (٢) إن أَمامي ما لا أُسامي (٣) . رُبَّ

(١) الترح ضد الفرح .
(٢) عرفت حقيقة الأمور .
(٣) أباري .

سامعٍ بِخَبَرِي لم يسمع بعذري . كُلٌّ زمان لِمَنْ فِيه . في كل يوم ما يُكْرَه . كل ذي نُصْرَة سَيخذَل . تَبَارُّوا فإن البِرَّ يَنْمِي عليه العدد . كفُّوا ألسنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكَّيه . إن قول الحق لم يَدَعْ لي صديقاً ، الصدق منجاة .

لا ينفع مع الجزع التبقي ، ولا ينفع مما هو واقِعٌ التَّوَقِّي . ستُسَاقَ إلى ما أنت لاق ، في طلب المعالي يكون العَنَاءُ (١) . الاقتصاد في السعي أبقي للجمام (٢) من لم يأسَ على مافاته وَدُعَ بدنه ، ومن قَنِع بما هو فيه قرَّت عينه التَّقدم قبل التَّنَدُّم (٣) . أُصبح عِنْدَ رأس الأَمر ، أَحَبُّ إلي من أَن أُصبِح عند ذَنَبه . لم يهلك من مالك ما وَعَظَك . وَيْلٌ لِعَالِم أَمْرٍ مِنْ جَاهله ، يتشابه الأَمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكَيِّس والأَحمق .

الوحشة ذهاب الأَعلام (٤) . البطر عند الرخاء حُمق ، والعجز عند البلاءِ أَفَن (٥) . لا تغضبوا من اليسير فربما جَنى الكثير . لا تجيبوا فيما لم تُسْأَلُوا عنه ، ولا تضحكوا مما لا يُضْحَك منه . حيلة مَنْ لا حيلة له الصبر ، كونوا جميعاً ؛ فإن

---

(١) في جمهرة الامثال « يكون العز » .
(٢) الراحة والقوة .
(٣) فكر في التقدم قبل ان تندم على العمل .
(٤) سادة القوم والمتفوقون في فنونهم .
(٥) ضعف الرأى والعقل .

الجمع غالب. تثبّتوا ولا تُسَارِعوا فإن أحزم الفريقين الركين (١).

رُبّ عجلة تهب ريثاً (٢). ادّرِعوا الليل (٣) واتخذوه جملا: فإن الليل أخفى للويل؛ ولا جماعة لمن اختلف. تناءوا في الديار ولا تباغضوا. فإنه من يجتمع يتقعقع (٤) عَمَدُه.

أَلْزِمُوا النساءَ المهابة (٥). نعم لَهْو الغُرَّة (٦) المِغْزَل. إن تَعِش تَرَ ما لَمْ تَرَه. قد أقرَّ صامت (٧). المِكْثار كحاطب (٨) ليل، من أكثر أسقط (٩).

لا تجعلوا سِرًّا إلى أمة. لا تُفَرِّقوا في القَبَائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم. عاقدوا الثَّروة (١٠)، وإياكم والوشائظ (١١)، فإن مع القِلَّة الذِّلَّة. لو سئلت العارية قالت: أَبْغِي لأهلي ذلا. الرَّسول مُبَلِّغ غير مَلوم. من فسدت بطانته غُصَّ

(١) الرزين.
(٢) الابطاء.
(٣) ادرعوه :ـ اي اتخذوه سترا ووقاية.
(٤) يضطرب ويتحرك، والمقصود أن من طبيعة الحياة الافتراق بعد اللقاء، وأن من هنا كل كثرة الى زوال.
(٥) اغرسوا مهابتكم وتوقيركم في قلوبهم.
(٦) المرأة الشريفة.
(٧) السكوت رضاء واعتراف.
(٨) الحاطب :ـ جامع الحطب، وحاطب الليل :ـ الرجل يخلط في كلامه.
(٩) أخطأ.
(١٠) حالفواكثرة العدد من الناس
(١١) جمع وشيظة :ـ أى لا قيمة لهم فهم حشوفي قومهم.

بالماءِ . أساءَ سَمْعاً فأساءَ جابَةً (١) .

الدال على الخير كفاعله . إن المسأَلة من أضعف المسكنة . قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها . لم يجر سالك القصد . ولم يَعْمَ قاصد الحق . مَنْ شَدَّد نَفَّر ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أوفيٰ القول أوجزه . أصوب الأُمور ترك الفضول . التغرير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة . لكل شيءٍ ضراوة . أحوج الناس إلى الغني مَنْ لا يصْلِحه إلا الغِنَيٰ ؛ وهم الملوك . حبُّ المدح رأس الضَّياع .

رضا الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تكره سخط من رِضَاه الجَوْر .

معالجة العفاف مشقَّة فتعَوَّذ بالصبر . اقْصُر لسانك على الخير وأَخِّر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع . أَمرُّ أَعمال المقتدرين الانتقام ، جَازِ بالحَسَنَة ولا تكافيْ بالسيئة . أَغنيٰ الناس عن الحقدمن عَظُمَ عن المجازاة . مَنْ حَسَد مَنْ دونه قَلَّ عذره ، من جعل لحسن الظن نصيباً رَوَّح عن قلبه . عِيُّ الصمت أحمد من عِيّ المنطق . الناس رجلان : مُحْتَرِسٌ ومُحْتَرَس منه ، كثير النصح يهجم

(١) الاجابــة .

على كثير الظِّنَّة . من ألح في المسألة أبرم (١) . خير السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يُكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئاً إلا غَلب عليه الصدق . القلب قد يُتَّهَم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مَكْسَبة للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء . فكن من الناس بين القرب والبعد ، فإن خير الأُمور أوساطها .

فُسُوَلة (٢) الوزراء أَضرُّ من بغض الأَعداء . خير القرباء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجرلم يكن له من غيره واعظ ، وتمكَّن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤٌ حتي يَمَلَّ (٣) الناس عتيد فعله ، ويشتدَّ على قومه ، ويُعْجَبَ بما ظهر من مروءته ، ويغترَّ بقوته ، والأَمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نماءَ مع العدم ، إنه من أتي المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العِيُّ أن تتكلم فوق ماتسد به حاجتك .

لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه

---

(١) أضجر وأمل .
(٢) فسل ككرم وعلم فسولة فهو فسل كضخم :ـ أى رذل لامروءة له .
(٣) في رواية أخرى (حتى يملك) .

حاجة . أَقل الناس راحة الحقود . من تَعَمَّد الذنب لا تحِلُّ رحمته دون عقوبة ، فإن الأَدب رِفقٌ والرِّفق يُدْنِ .

الوان الناس

ومازلت مذ لاح المشيبُ بمفرقي افتش عن هذا الورى ثم أكشف
فما أنت عرفت الناس إلا ذممتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرف
فما كل من تهوى يحبك قلبه ولا كل من تحبب يكن لك منصف
وما الناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تألف

الباب الرابع

من وصايا الصحابة والتابعين

بين معاوية وعمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها ، فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبدر اليه من يسده ، ثم يفعل ذلك بميسرته ، فتغنيه اللحظة عن الاشارة . فدخله زهو مما رأى ، فقال :

يا بن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت :— والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحدًا تَأَتَّى له من طاعة رعيته ما تأتّى لك من هؤلاء

فقال : أَفَتَدْري متى يفسد هذا ؟ وفي كم ينتقض جميعه ؟ قلت : لا ، قال : في يوم واحد . قال : فأَكثَرتُ التعجب . فقال : إي والله ، وفي بعض يوم .

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : إذا كُذِبوا في الوعد والوَعِيد ، وأُعْطُوا على الهوى لا على الغناء ، فَسَدَ جميع ما ترى .

خطبة سعيد بن سويد

خطب سعيد بن سويد بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً منيعاً ، وباباً وثيقاً ، فحائط

الإسلام الحق ؛ وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قَضَاءً بالحق وأَخذًا بالعدل .

في موقف الموت

دخل يزيد على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلَّمه فلم يرد عليه ، فبكى يزيد ثم افاق معاوية وقال « أي بُني ، إن أعظم ما أخاف الله فيه ماكنت أصنع لك . يابني إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا مضى لحاجه وتوضأ ، أصبُّ الماء على يديه ، فنظر إلى قميص لي قد انخزق من عاتقي ، فقال لي : يامعاوية ألا أكسوك قميصاً؟ قلت : بلى يارسول الله فكساني قميصاً لم ألبسه إلا لَبْسَةً واحدة ، وهو عندي ، وحلق ذات يوم فأخذت من شعره وقلامة أظفاره فجعلت ذلك في قارورة فإذا أنا متُّ يابنيَّ فاغسلني ، ثم اجعل ذلك الشَّعر والأظفار في عينيَّ ومنخزي وفمي ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعاراً من تحت كفني ، فإن نَفَع شيء نفع هذا .

عهد أبي عبيدة لأهل دمشق

شمر خالد بن الوليد لفتح دمشق فدخلها من جهته (١) عنوة ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب فالتقى خالد والقواد في وسطها ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لا تحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرًا ولا قلاية (٢) ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ماخرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان في خطط(٣) المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لا نضرب على نواقيسنا إلا

(١) لما سار المسلمون الى دمشق نزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي، وعمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان .
(٢) من بيوت عبادة النصارى كالصومعة .
(٣) الاراضي التي يختطونها لأنفسهم .

ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها، ولا نرفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا، ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا، ولا نخرج باعوثاً ولا شعانين(١) ولا نرفع أصواتنا بموتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، ولا نجاورهم بالخنازير، ولا نبيع الخمور، ولا نظهر شركاً في نادي المسلمين، ولا نرغّب مسلماً في ديننا، ولا ندعوا إليه أحدًا، وعلى أن لا نتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين، ولا نمنع أحدًا من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الاسلام، وأن نلزم ديننا حيث كنا، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتسمي بأسمائهم، وأن نَجُزّ مقادم رؤوسنا، ونفرق نواصينا ونشد الزنانير (٢) على أوساطنا وأن لا ننقش في خواتيمنا بالعربية، ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نجعله في بيوتنا، ولانتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم

(١) الباعوث عند النصارى مثل الاستسقاء عندنا، والشعانين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع.
(٢) ما يشد على وسط النصارى والمجوس، مفرده زنار كرمان.

وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : عجباً لمن يَهْلك ومعه النجاة ! قيل له : وماهي ؟ قال : التوبة والاستغفار .

بين القوة والضعف

وقال الحسن رضي الله عنه :

من كان قويا فلْيعتمدْ على قُوّته في طاعة الله ، ومن كان ضعيفاً فلْيكُفَّ عن معاصي الله .

في اجتناب السلطان

لقي أبو جعفر سفيانَ الثوري في الطواف ، فقال : ما الذي يمنعك أباعبدالله أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهانا عنكم فقال : «ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فَتَمسّكم النار» .

وقدم هشام بن عبد الملك المدينة لزيارة مسجد رسول الله فدخل عليه أبوحازم الأعرج ، فقال : ما يمنعك أباحازم أن تأتينا ؟ فقال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ، إن أدنتني فتنتني ، وإن أقصيتني أخزيتني ، وليس عندي ما أخافك عليه ، ولا عندك ما أرجوك له .

(لكن مصالح الناس لا تقوم الا بتعاون العلماء والامراء)

من مغرم مثقلون

قال رجل للحسن رضي الله عنه : أبا سعيد ، أردت أن أُصليَّ فلم أستطع ، قال : « قَيَّدَتْكَ ذنوبك » .

الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطَّلع عليهم في منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحدًا من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط مانجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لا نشتم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده .

ضمنَّا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا ، وإن نحن غيَّرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك ، وقبلنا الأمان عليه ، فلا ذمَّة لنا ، وقد حل لك منا ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملَّتنا ، فأقرونا في بلادكم التي ورثكم الله إياها .

شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفي بـالله شهيـدا .

صفة الإمام العادل للحسن البصري

كتب عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – لما ولي الخلافة الى الحسن ابن أبي الحسن البصري ، أن يكتب اليه بصفة الامام العادل . فكتب اليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ؛ أن الله جعل الإمام العادل قِوَام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونَصَفَةَ كل مظلوم ، ومفزع كلّ ملهوف .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيب المراعي ؛ ويذودها عن مراتع الهَلَكة ، ويحميها من السِّباع ، ويكنُّهَا من أذي الحرِّ والقُرِّ .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأَب الحاني على ولده ، يسعي لهم صغارًا ، ويعلِّمهم كبارًا ، يكسب لهم في حياته ، ويَدَّخِر لهم بعد مماته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ؛ كالأُم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربَّته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطِمُه أُخري ، وتفرح بعافيته ، وتَغْتَمُّ بشكايته .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين وَصِيُّ اليَتَامَى ، وخازن المساكين ، يُرَبِّي صَغِيرَهُم ، ويَمُون كبيرهم .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تَصْلُحُ الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين ؛ هو القائم بين الله وبين عباده ، يَسْمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويَقُودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَّكَكَ الله عز وجل كعَبْد ائتمنه سيِّده ، واستحفظه ماله وعياله ، فَبَدَّد المال ، وشَرد العِيَال ، فَأَفْقَر أَهله ، وفرَّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزْجُر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يَلِيها ! وأَنَّ الله أنزل القِصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قَتَلَهُم مَنْ يَقْتَصُّ لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقِلَّة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتَزَوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك مَنْزِلا غير منزلك الذى أنت

فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يُسْلِمُونك في قعره فريدًا وحيدًا ، فتزود له ما يصحبك : (يَومَ يَفرُّ المرءُ من أَخيه وأُمه وأَبيه ، وصاحِبته وبَنِيه) .

واذكر يا أَمير المؤمنين : (إذا بُعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور) فالأَسرار ظاهرة ، والكِتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أَحصاها ، فالآن يا أَمير المؤمنين وأَنت في مَهَل قبل حلول الأَجل ، وانقطاع الأَمل .

لاتحكم يا أَمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلِّط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولاذمَّة ، فَتَبُوءَ بأَوزارك ، وأَوزار مع أَوزارك ، وتحمل أَثقالك وأَثقالا مع أثقالك . ولا يَغُرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بؤسك ، ويأَكلون الطيِّبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . ولا تنظر إلى قُدْرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأَنت مأسور في حبائل الموت ، وموقوف بين يدي الله في مَجْمَع من الملائكة والنَّبِيِّين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوُجوه للحي القيُّوم .

إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النُّهى من قبلي ، فلم آلُكَ شفقة ونُصْحاً . فأنزل كتابي إليك كمُداوي حبيبه ؛ يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

موعظة طاووس الى عمر بن عبد العزيز

عن أبي رياح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى طاووس كتابا يسأله عن بعض ما هو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزده حرفا ؛ قال :- فما رأيت قط كتابا كان أعجب اليه منه ، كتب اليه .

«سلامٌ عليك يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل أنزل كتاباً ، وأحل فيه حلالا ، وحرم فيه حراماً ، وضَرَب فيه أمثالا ، وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً ، فأَحِلَّ حلال الله ، وحرِّم حرام الله ، وتفكَّر في أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابَهه . والسلام عليك» .

عبرة

لما وقع الطاعونِ الجارفُ أطاف الناس بالحُسين ، فقال : ما أحسنَ ما صنع بكم ربكم ، أقلعَ مذنبُ وأنفق مُمسك . (أي تاب المذنب وسخى البخيل ولكن مؤخراً عند نزول البلاء) .

موعظة سالم الى عمر بن عبد العزيز

روي عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى سالم ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

«سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة من غير مشورة مني فيها ، ولا طلب مني لها إلا قَدَرٌ مِنَ الرحمن قَدَّره عليَّ ، فاسأل الذي ابتلاني أن يعينني على ما ولاَّني من عباده وبلاده ، وأن يرزقني فيهم العمل بطاعته ، وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة ، ويرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، فإذا جاءك كتابي هذا ؛ فابعث إليَّ بكتب عمر وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة . فإني سائر بسيرته ، ومُتَّبِع أثره إن الله أعانني على ذلك ـ إن شاء الله ـ والسلام » .

فكتب اليه سالم :

«من سالم بن عبد الله ، إلى عمر بن عبد العزيز .

سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد . . فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد . فجعل لها مدة قصيرة ثم قضي عليها وعلى أهلها بالفناء ، ثم إنك

ياعمر قد وُلِّيت أَمرًا عظيماً ، فإن استطعت أَن لا تخسر نفسك وأَهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضي قبلك رجال أَماتوا ما أَماتوا من الحق ، وأَحيوا ما أَحيوا من الباطل حتي وُلِدَ في ذلك رجال ونساء ، وظنُّوا أَنَّها السُّنَّة ، فلا يمنعك من نزع عامل أَن تقول لا أَجد من يكفيني عمله ، فإنك إن كنت تعمل لله أَتاح الله لك أَعواناً ، وإنَّمَا قُدِّر العَونُ بِقَدر النية ، وإن استطعت أَن تجيءَ يوم القيامة لا يتبعنَّك أَحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابِطُون لك ؛ فافعل فإنهم قد عالجوا نزَع الموت ، وعاينوا أَهوال المطَّلع ، وانفقأَت أَعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها ، واندَقَّتْ رِقَابهم غير متوسِّدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُرُر والخدم ، وصاروا جِيَفاً في بطون الأَرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مساكين تأَذَّوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصي من الطيب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أَعظم ما ابْتُلِيتَ به ياعمر ، فمن بعثت من عمالك فازجره زجرًا شديدًا شبيهاً بالعقوبة عن أَخذ الأَموال

وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال يا عمر . . . الدم الدم ياعمر .

كتبتَ إلي أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل في غير زمانك وبغير رجالك ، ووليت في زمن تعلم بعد ما عمل ، وأنا أرجو إن عملت على النحو الذي عمل به عمر بعد مابلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح : « وما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أُنيب » . (١)

آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز

عن أبي سليم الهذلي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :

« أما بعـــد ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدَع شيئاً من أمركم سدي ، وإنَّ لكم معادًا ينزل الله ــ عز وجل ــ فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج مِنْ رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واشتري قليلا بكثير ، وفائتا بباق ، وخوفاً

(١) سورة هود الآية ٨٨

بـأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك ، حتي تُرَدَّ إلى خير الوارثين .

في كل يوم وليلة تشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله ـ عزوجل ـ قد قضي نحبه ، وانقضي أجله حتي تُغَيِّبُوه في صدع الأرض في بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهَّد ولا موَسَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرْتَهناً بعمله ، فقيرًا إلى ما قدَّم ، غنياً عمَّا ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم .

وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة . وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي ، وما تبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه . وما يبلغني أن أحدًا منكم لايسعه ما عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتي يستوي عيشنا وعيشه .

وأيم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش . لكان اللسان مني به ذلولا عالماً بأسبابه . ولكن سبق من الله ـ عز وجل ـ كتاب ناطق . وسُنَّة عادلة . دَلَّ فيها على طاعته . ونهي فيها عن معصيته » .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وبكى الناس . وكانت آخر خطبة خطبها .

الباب الخامس

من وصايا القواد والفقهاء والأدباء

خطبة عمر بن عبد العزيز في اختيار الصاحب

عن سلام بن سليم قال :
لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ـ وكان أول خطبة خطبها ـ حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«يأيها الناس .. من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ، ولا يغتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه»

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا :ـ ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

قولهم في التوبة

مرّ المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بني اسرائيل يبكون ، فقال لهم : ما يبكيكم ؟ قالوا : نبكي لذنوبنا قال : اتركوها تغفر لكم . (يصيصدق قول الله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع امره حتى بلغ المامون ، فدعا بـه وقرىء عليـه ، وقال :

ما ابقى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا ، والتدبير والرأي ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقـويم الخـلافة الا وقـد حكمه ،وأوصى به ، وتقدم فيه . وامـر أن يكتب بذلك الى جميـع العمال في نواحي الاعمال .

ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، آثرنا ذكره على ما فيه من طول ، رغبة منا في الا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم

يابني « عليك بتقوي الله وحده لاشريك له ، وخشيته ومراقبته . ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، والزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله . وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذّب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من

ذلك . وموقفك عليه ، ومسائلك عنه . ومُثِيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرِّغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويَّتك . ولا يذهلك عنه ذهل . ولا يشغلك عنه شغل . فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك.

اداء الفرائض

وليكن أول ماتلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك . المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك ، في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك . وادأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر . ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده . وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه . من أمره ونهيه . وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثم قم

فيه بما يحق لله عليك، ولا يمل عن العدل فيما أحببت أو أكرهت، لقريب من الناس أو بعيد.

ايثار الفقه

وآثر الفِقْه وأهله، والدين وحَمَلَته، وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما تزين به المرءُ الفقه في دين الله، والطلب له والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل، وإجلالا له، ودركاً للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبة لسلطانك، والأُنسة بك، والثقة بعدلك.

الاقتصاد

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيءٌ أبين نفعاً، ولا أحضر أمناً، ولا أجمع فضلا من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق منقاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد، فآثره في دنياك كلها، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومعالم الرشد، فلا غاية للاستكبار من البر والسعي له، إذا كان يطلب به وجه

الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحدًا من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تَكَشُّف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبرءاء والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزًا ، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ماينغص عليك لذاذة عيشك .

حسن الظن بالله وبالرعية

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى

محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك. ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك، والرأفة برعيتك، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية، والنظر فيما يقيمها ويصلحها، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء، والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم. وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوي ذلك، فإنه أقوم للدين، وأحيا للسنة، وأخلِص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك، تَفَرُّد من يعلم أنه مسؤول عما صنع، ومُجْزَيٰ بما أحسن، فإن الله جعل الدين حرزًا وعزًا، ورفع من اتبعه وعززه، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين، وطريقة الهدي، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفريطك في ذلك، لما يفسد عليك حسن ظنك، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفـــة.

اجتناب الشبهات

وجانب الشبه والبدعات، يسلم لك دينك، وتقم لك مروءتك، وإذا عاهدت عهداً فَفِ به، وإذا وعدت الخير

فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض اهله ، واقص اهل النميمة ، فان اول فساد امرك في عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لان النميمة لايسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ، ولايستقيم لطيعها أمر ، واحب اهل الصدق والصلاح ، واعن الاشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة امره ، والتمس فيه ثوابه والدار الاخرة ، واجتنب سوء الاهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدي .

اجتناب الكذب

الحكم

واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له .

اخلاص النية

واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك

لله ، يعطيه من يشاءُ ، وينتزعه ممن يشاءُ ، ولن تجد تغير النعمة ،وحلول النقمة ، إلى أَحد أَسرع منه إلى حملة النعمة ، من أَصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك ، ولتَكُ ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوي ، والمعدلة واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأُمورهم ، والحفظ لدمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

استخدام الاموال

واعلم أَن الأَموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاءِ حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصلحت به العامة وتزينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأَموال في عمارة الإسلام وأَهله ، ووفر منه على أَولياءِ أَمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأَوف رعيتك من ذلك حصصهم .

وتعهد بما يصلح أُمورهم ومعايشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قفزت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية خراجك ، وجمع أَموال رعيتك وعملك

أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفساً بكل ما أردت ، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فإنما يبقي من المال ما أُنفق في سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة ، فتتهاون بما يحق عليك ، فإن التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى .

رجاء الثواب والشكر

وارج الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرًا وإحساناً ، فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسدًا ، ولا ترحمن فاجرًا ، ولا تصلن كفورًا ، ولا تداهنن عدوًا ، ولا تصدقن نمّاماً ، ولا تأمنن غدارًا ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاوياً ، ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردّن سائلا فقيرًا ، ولا تجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعدًا ، ولا تذهبن فخراً ،

ولا تظهرن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً ، ولا تغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فسادًا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاءُ أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ماعصي به الانسان ربه ، وان العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

رعاية الأمة

فَسَهِّل طَرِيق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال

العباد ، فأعدد لنفسك خلقاً ، وارض به عملا ومذهباً ، وتفقد أُمور الجند في دواوينهم ، ومكاتبهم ، وادرر عليهم أرزاقهم . ووسع عليهم في معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم . ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك ، خلوصاً وانشراحاً . وحسب ذي سلطان من السعادة أَن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبرده وتوسعته ، فزايل مكروه إحدي البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلق ــ إن شاءَ الله ــ نجاحاً وصلاحاً وفلاحـــا .

واعلم أَن القضاءَ من الله ، بالمكان الذي ليس مثله شيء من الأُمور ، لأَنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الأَحوال في الأَرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء .

الشدة في الله

واشتد في أَمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع

بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وابلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبَّت وتأَنَّ ، وراقب وانظر ، وتدبر وتفكَّر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها .

المالية العامة

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ،وجعله الله للإسلام عزًا ورفعة ، ولأَهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ، ولأَهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارًا . فوزعه بين أَصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم فيه ، ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أَحد من خاصتك ، فلا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أَمرًا فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أَجمع لألفتهم ، وألزم لرضي العامة . واعلم أَنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما سمي أَهل عملك رعيتك .

لأنك راعيهم وقيِّمهم ، تـأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ، ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلَّدت وأُسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف ، فإنك متي آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأُحدوثة في عملك ، واستجررت به المحبة من رعيتك ، وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك ، وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أُمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعـــدَّة .

فنافس في هذا ، ولا تقدِّم عليه شيئاً ، تحمد مغبة أمرك ــ إن شاء الله ــ واجعل في كل كورة من عملك أميناً ،

يخبرك أَخبار عمالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأَعمالهم . حتي كأَنك مع كل عامل في عمله ، معاين لأَمره كله ، وإن أردت أَن تأمره بأَمر ، فانظر في عواقب ما أَردت من ذلك ، فإن رأَيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أَهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أَمر من أَمره ، قد واتاه على مايهوي ، فقواه على ذلك وأَعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أَهلكه ونقض عليه أَمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أَردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأَكثر استخارة ربك في جميع أُمورك .

سرعة الانجاز

وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأَكثر مباشرته بنفسك ، فإن لِغَد أُمورًا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أَخرت ، واعلم أَن اليوم إذا مضي ذهب بما فيه ، وإذا أَخرت عمله اجتمع عليه أَمر يومين ،فشغلك ذلك حتي تعرض عنه ، فإذا أَمضيت لكل يوم عمله أَرحت نفسك وبدنك ، وأَحكمت أُمور سلطانك ، وانظر أَحرار الناس وذوي الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم

وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح إليهم ، حتى لا يجدوا لخلَّتهم مسًّا .

الفقراء والمساكين

وافرد نفسك للنظر في أُمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفي مسألة ، ووكل بأَمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أَرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأَمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ في العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأُمراء من بيت المال ، وقدِّم حَمَلَةَ القرْآن منهم ، والحافظين لأَكثره في الجارية على غيرهم ، وانصب لمرضي المسلمين دورًا تؤويهم ، وقوَّاماً يرفقون بهم ، وأَطباءَ يعالجون أَسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم مالم يؤدِّ ذلك إلى سرف في بيت المال .

واعلم أَن الناس إذا أُعطوا حقوقهم ، وأَفضل أَمانيهم

لم يرضهم ذلك، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ،وربما برم المتصفح لأمور الناس ، لكثرة مايرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها مايناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل مايقرِّبه إلى الله ، ويلتمس رحمتــــه به .

الصلة المباشرة بالناس

وأكثر الاذن للناس عليك، وابرز لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر و لا منان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة ــ إن شاء الله ــ واعتبر بما تري من أمور الدنيا وبمن مضي مِنْ قبلك ، من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البــــائـــدة .

الاعتصام بالشريعة

ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله ، واعرف ماتجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولاتجمع

حراماً، ولا تنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء، ومشاورتهم ومخالطتهم، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأُمور ومعاليها، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك مَنْ إذا رأيٰ عيباً فيك؛ لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سرّ، وإعلامك مافيك من النقص، فإن أُولئك أَنصح أَوليائك ومظاهريك.

حسن الادارة

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوَقِّت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً، يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته، وما عنده من حوائج عمالك، وأمر كورك ورعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرر النظر إليه والتدبير له، فما كان موافقاً للحزم والحق، فامضه واستخر الله فيه، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم، ولا تقبل من أَحد منهم إلا الوفاء والاستقامة، والعون في أُمور أَمير المؤمنين، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك.

وتفَهَّم كتابي إليك، وأَكثر النظر فيه، والعمل

به . واستعن بالله على جميع أُمورك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أَعظم سيرتك ، وأَفضل رغبتك ما كان لله رضاً ؛ ولدينه ، نظاماً ، ولأَهله عزًا وتمكيناً ، وللذمة والدولة عدلاً وصلاحـــاً .

وأنا أَسأَل الله أَن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأَن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك ، وكرامته لك ، حتي يجعلك أَفضل أَمثالك نصيباً ، وأَوفرهم حظاً ، وأَسناهم ذكرًا وأَمرًا ، وأَن يهلك عدوك ، ومن ناوأَك وبغي عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتي يستعلي أَمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

رسالة الإمام مالك لهرون الرشيد

**كتب الامام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ بهذه الرسالة الى أمير
منين هرون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي .**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
رسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإني كتبتُ إليكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيهِ
شدًا ، ولَمْ أَدَّخرك فيه نُصْحاً ، تحميدًا لله ، وأدباً عن
سول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتدبَّره بعقلك ، وردِّد فيه
صرك ، وارعه سمعَك ، ثم اعقله بقلبك، واحضِرْه فهمك ،
لا تُغيبَنَّ عنه ذهنَك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن
واب الله تعالى في الآخرة ، اذكر نفسك في غمرات الموت
كربه ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت
من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد
الحساب ، وأَعِدَّ لله عز وجل ما يُسَهِّلُ به عليك أهوال
تلك المشاهد وكُرَبها ، فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى ،
وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم ،
وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم ، مع كلوح وجوههم ،

(١) للعلماء رأي في نسبة هذا الى مالك رضي الله عنه ولكنها موعظة مفيدة .

وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتها على وجوههم ، لايسمعون ولايبصرون، ويدعون بالويل والثبور، وأعظم من ذلك حسرةً إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : «اخْسَئُوا فِيها ولا تُكَلِّمُونِ » .

لم يتعاظمك شيءُ من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمَّنك من هوله ، ولو قدمت في طلب النجاة منه جميع ماملك أهل الدنيا ـ كان في معاينتك ذلك صغيرًا ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه ـ لتقلَّلَ في عينك عظيم ما طلبت به صغير ماعند الله ، ولصغر في عينك جسيم ماطلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذرًا غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار ، وصَلِّ من النهار

اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أَحببت ، إن شئت صلِّهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «مَنْ صَلى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ» .

وصَلِّ مِنَ الليل ثمان ركعات بجزءٍ من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلِّهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يُسلم من كل اثنتين ، وَصُمْ ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «ذٰلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ» .

من يستحق الصدقة واقسامهم

واعْطِ زَكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ ولا غَيْرِهِ حَتَّىٰ حَدَّها هُوَ على ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قال عز وجَلَّ : (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ

لِلفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيهَا والمُؤلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَبِيلِ)

واحْجُجْ حجة الإسلام من أَطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لايقبل إلا طيباً ، وبلغني أن قوله تعالى : (فَمَنْ تَعَجَّلَ في يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيهِ ومَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيه) غُفْرٌ لَهُ .

مُرْ بِطَاعة الله وأَحْبِب عليها ، وانْهَ عَنْ معاصي الله تعالى ، وابغِض عليها ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مُرُوا بالمَعْرُوفِ ، وانْهُوا عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِتَرْكِهِم نَهْيَهُمْ عَنِ المَعَاصِي ، ولَم يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ» . فَمُرُوا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، فإن الأَمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لا يُقَدِّمُ أَجلا ، ولايقطع رزقاً .

رحمة الخدم والنهى عن الكبر

أَحْسِن إلى مَنْ خَوَّلك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يُصَلِّي فانصرف ، وقال : «أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مافِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إلا عَلَيهِ جَبْهَةُ مَلَك

سَاجِد، فَمَنْ كانَ لَهُ خَوَلٌ فَلْيُحْسِنْ إلَيْهِ، ومَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ، ولا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ».

الْزِمِ الأَدبَ من وَلِيت أَمره وأدبه، ومن يجب عليك النظر في أمره، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال للفضل بن العباس: «لا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ، وأَخِفْهُم في اللهِ».

لا تستسلم إلى الناس واسْتَجْرِهم (١) في طاعة الله، لا تَغْمَص النَّاس، واخْفِضْ لهم جناحك، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «أَلا أُحَدِّثُكُم بِوَصِيَّةِ نُوح ابنَهُ. قال: آمُرُكَ باثْنَين، وأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَين، آمُرُكَ بِقَولِ لا إلٰهَ إلا الله، فإنَّهَا لَوْ كانَتْ في كِفَّةٍ، والسَّمٰواتُ والأَرْضُ في كِفَّةٍ وَزَنَتْهَا، ولَو وَضَعتهَا على حَلَقة قَصَمَتها، وَقُلْ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ فإنَّهَا عِبَادَةُ الخَلق، وبِهَا تُقْطَعُ أَرْزَاقهم، فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الوُلُوج على الله عَزَّ وجَلَّ، وأَنْهَاكَ الكبر والتعاظم عَن الشِّرْك والكِبْر، فإنَّ الله مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا. فقال له بعض أصحابه: أَمِن الكِبر أن يكون لي الدَّابَّةُ النَّجِيبة؟ قال: لا. قال: أَمِنَ الكِبْرِ أن يكون لي الثَّوب

(١) استجرهم: أي استخدمهم واستعملهم.

الحسن ، قال :ــ لا ، قال :ــ أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال:ــ لا . إنما الكبر أن تسفه الحق، وتغمص الخلق، وإياك والكبرَ والزهوَ ، فإن الله ــ عز وجل ــ لا يحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال :ــ «يُحْشَرُ المتكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صِوَرِ الذَرِّ تَطَؤُهُمْ النَّاسُ بتَكَبُّرِهِمْ عَلَىَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ».

خوف الله

لا تأمن على شيء من أمرك مَن لا يخاف الله ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : شَاوِرْ في أَمْرِكَ الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوءِ ، وأهل الردي على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : «مَامِنْ نَبِيٍّ ولا خَلِيفَةٍ إلا ولَهُ بِطَانَتَان : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمعْرُوفِ وتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،وبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبَالا ، وهُوَ مَعَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيهِ ، ومَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ» .

واستَبْطِن أَهل التقوي من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وارْعَ حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأَذي عنه ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه

قال : «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخِرِ فَليَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيُمْسِكْ» .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أُنذركم فضول المنطق . وأكرم من وَادَّك ، وكافئه بمودَّته ، وإياك والغَضَب في غير الله ، لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوءٍ إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «مِنْ حُسْنِ إسْلاَم المرْءِ تَرْكُهُ ما لايَعْنِيه» .

صِلْ مَنْ قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «إنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلاقِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ» .

اتَّقِ كثرة الضَّحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ضحكه كان تبسُّماً .

المزاح والكبر ومجالسة المتقين

لا تمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «إنِّي لَأَمْزَحُ ولا أَقُولُ إلا حَقًّا» .

لا تخالف إلى ما نهَيتَ عنه ، وإذا نَطَقتَ فأَوجِز ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في نَارِ جَهَنَّمَ إلاَّ هٰذَا » . يعني لسانه .

لا تصاعر خَدَّك للناس ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إنَّ أَهلَ الجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ طَلْق » .

اترك من أَعمال السِّرِّ ما لا يحسن بك أَن تعمله في العلانية . اتق كل شيءٍ تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخِرِ فلا يَقِفُ مَوَاقِفَ التُّهَم » .

أَقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة ، وبلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لرجل : « لا تَسْأَل النَّاس ، ولْيَكُنْ مَجْلِسكَ بَيتكَ أَوْ مَسْجِدك » وبلغني عن ــ النبي صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « المسَاجِدُ بُيُوتُ المُتَّقِينَ » .

لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أَمر لا بد منه ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه قال : « ستَّةُ

مَجَالِس الْمُسْلِم ضَامِنٌ على الله ما كانَ في شَيءٍ مِنْهُنَّ: في سَبِيلِ الله ، أَو في بَيْتِ الله ، أَو في عِيَادَة مَرِيضٍ ، أَو شُهُودِ جَنَازَة أَو جُمُعَةٍ ، أَوْ عِنْدَ إِمَام مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ ويُوَقِّرُهُ» .

أَحسن خلقك مع أَهلك ، ومَن اعتز بك ، فان ذلك رضا لربك ، ومحبة في أَهلك ، ومَثراة في مالك ، ومنسأَة في أَجلك .

فإنه بلغني عن بعض العلماءِ من الصحابة أَنه قال ذلك .

أَحسن البِشْر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال :(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ). وبلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه قال: «لا تَشْتُمِ النَّاسَ» .

اتَّقِ أَهل الفحش ، ومجالسة أَهل الرديْ ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : اعتبر الناس بأَخدانهم فإنما يخادن الرجلُ الرجلَ مثله .

أَكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغني عن

النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: «مَنْ كفل يَتيماً لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهَاتَينِ» . وأشار بأصبعيه فضمهمـــا .

اعرف لابن السبيل حقه . واحفظ وصية الله تعالى فيه . فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعِن المظلوم . وانصره ما استطعت . وخذ على يد الظالم . وادفعه عن ظلمه . فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: «مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثْبِتَ لَهُ حَقَّه ، ثَبَّتَ الله قَدَمَهُ يَومَ تَزُولُ الأَقْدَامُ» .

اتق اتباع الهوي في ترك الحق . فإنه بلغني عن النَّبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: «إنِّي أَخَافُ عَلَيكُم اثْنَتَين: اتِّبَاع الهَوَىٰ ، وطُول الأَمَلِ» . فإن اتباع الهوي يَصُدُّ عن الحق . وطول الأَمل ينسي الآخرة .

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم . فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: «أَشْرَفُ الأَعمال ثَلاثَةٌ: ذِكْرُ اللهِ على كُلِّ حَال . وَمُوَاسَاةُ الأَخ مِنَ

اَلمال ، وإنْصَافُ النَّاس مِنْ نَفْسِك » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي ـ كرَّم الله وجهه ـ أَنه قال : لا تُتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الاولى ، وليست لك الأُخري .

اتَّقِ المطعم الوَبِيَّ ، والمشرب الوبِيَّ ، والملبس الوبِيَّ ، فإن ذلك تذهب أنفته (١) ، وتبقي عاقبته ، وإن الله سبحانه أَدب رسله ، فقال : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صالحاً). وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ اُلمسْلِم أَكلَة ، أَطْعَمَهُ الله مَكَانَهَا أَكلَة مِنْ نَارٍ ، ومَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ اُلمسْلِم ، سَمَّعَ الله بِهِ يَومَ اَلْقِيَامَةِ ، ومَنْ لَبِسَ بأخيه اُلمسْلِم ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ الله مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنه قال : « مَنِ اعْتَذَرَ إلى أَخِيهِ اُلمسْلِم فَلَم يَعْذِرْهُ كانَ عَلَيهِ مِثلُ وِزْرِ صاحِب مَكْس » .

لِتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنه قال : « اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ

(١) أنف الشيء وأنفته : ابتداؤه وأوله

اليَد السُّفْلى »

اصحب الأَخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ماتَحَابَّ رَجُلانِ في الله إلا كانَ أفضَلهُمَا أشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِه » .

صِل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتي إليك ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجلا قال له : « إنَّ لي أقرباءَ ، أَعْفُوا ويَظْلِمُوني ، وأَصِلُ ويَقْطَعُوني ، وأُحْسِنُ ويُسيئُوني ، أَفَأكافِئُهُم ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَن تُتركُوا جَمِيعاً ، ولكِنْ إذا أَسَاءُوا فأَحْسِنْ ، فإنَّهُ لَنْ يَزَالَ لكَ عَلَيهم مِنَ الله ظَهِيرٌ » .

ارحم المسكين المضطر ، والغريب المحتاج ، وأَعِنْهُ على ماستطعت من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أَنه قال : « كل معروف صدقة » .

ارحم السائل ، واردده من بابك بفضل معروفك ، بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذَمَّةَ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأس الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَام » .

فعل المعروف

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ،

فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: « لا تَزْهَدْ في المعْرُوفِ ولَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ في إنَاءِ الْمسْتَقِي » .

أَرِدْ بِكُلِّ مايكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن قوله عزَّ وجلَّ : (فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ)... الآية . قال : المنافق الَّذي إنْ صَلى رَاءَى ، وإنْ فَاتَتْهُ لَم يَبْلُغ إليهَا (ويمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : المَاعُونُ : الزَّكاةُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عزَّ وجَلَّ .

إياك والرِّياءَ ، فإنه بلغني أنهُ لا يصعد عمل المرائي إلى الله عزَّ وجل ، ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ماعملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « نَضَّرَ الله امْرءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاهَا حتَّي يُبَلِّغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظ مِنْ شَاهِدٍ ، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيه » .

لا يغفل قلب امريءٍ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوءَ الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد

بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « خِيَارُكُم أَحْسَنُكم أَخْلاقاً » .

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ مَلَكاً أَتاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئكَ السَّلام ويَقُولُ : إِنْ شِئْتَ أَجْعَلكَ مَلَكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا . فأَشارَ إِليهِ جِبْرِيلُ عَليهِ السلام أَنْ تَوَاضَعْ ، فَمَا أَكَلَ مُتَّكِئاً حَتَّى ماتَ » .

الظلم

لا تظلم الناس فيديلهم الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ماظلمت أحدًا أَشد عليَّ ظلماً من أَحد لا يستعين عليَّ إلا بالله تعالى .

احذر البغي فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إِنَّ أَعْجَلَ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرِّحم ، وإِنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةً اليَمِينُ الغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيارَ بَلاقِعَ » .

الحلف بغير الله

لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُم ، لِيَحْلِف حَالِفٌ باللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ » . ولا تحلف بالله في كل شيء

فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى : (ولا تَجْعَلُوا الله عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم) .

ارحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَنْ لا يَرْحَم النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ الله » .

أحبب طاعة الله يحبك الله ، ويُحَبِّبْكَ إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيِّه : (قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الله جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي في السُّجُودِ » . وقال بعض العلماء : ما أسرَّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءَها ، ولا أسرَّ سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءَها.

وليكن عليك السكينة والوقار في منطقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال ــ والناس يزحفون حوله ــ : « عَلَيكُم بِالسَّكِينَةِ » .

أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إذا رَكِبْتُم هٰذِهِ الدَّوابَّ العُجمَ فاعْطُوها حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذي ، ولا تكافئه فإن في ذلك الفضل

في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الحَلِيمَ الحَيِيَّ العَفِيفَ المُتَعَفِّفَ » .

ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « أَيُّهَا المُسْلِمُ اتَّقِ العُقُوقَ وقطيعةَ الرَّحِمِ ، فإن في ذلك شيئاً في الدُّنيا وتَبَاعُدًا في الآخِرَةِ » .

وبلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « اشْتَكَتِ الرَّحِمُ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِمَّن يَقْطَعُهَا ، فَرَدَّ اللهُ عليها أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ » .

كظم الغيظ

إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : « والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » الآية

وبلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « ما امْتَلأَ رَجُلٌ غَيظاً فَكَظَمَهُ للهِ إلا مَلأَهُ اللهُ رِضْوَاناً يَومَ القِيَامَةِ » .

إذا وعدت موعدًا في طاعة الله فلا تُخلفه ، وإذا قلت قولا فيه رضا الله فاوف به ودم عليه ، بلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِستٍّ أَتَكَفَّلْ لَهُ بالجَنَّة : إذا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وإذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وإذَا

اتُّمِنَ لَمْ يَخُنْ ، وغَضَّ بَصَرَهُ ، وحَفِظَ فَرْجَهُ ، وكَفَّ يَدَهُ» .

نذر المعصية

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمنَّ بها وكفِّرها ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :– «لانَذرَ في مَعْصِيَّةِ الله وكفَّارتُهَا كَفَّارَةُ يَمِينٍ والنَّذْرُ يَمِينٌ . وإذَا حَلفْتَ على يَمِينٍ ثمَّ رَأَيْتَ غَيْرَها خَيرًا مِنْهَا فأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ» . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك .

إياك والتزّيد في القول ، وأن تقول قولا وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ثَلاَثَة لا يَنْظُرُ اللهُ إلَيهِم يَوْمَ القِيَامَةِ ، الإِمَامُ الكَذَّابُ ، والعَائِلُ المَزْهُوُّ ، والشَّيخُ الزَّاني » .

بر الوالدين

برّ والديك وخصَّهما منك بالدعاء في كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم – عليه السلام – قال : «رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ» . فبدأ بنفسه قبل والديه . وبلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ في عُمرِهِ ، ويُزَادَ في رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ ، ولْيَصِلْ رَحِمَهُ» .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن

قدرت عليه ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهُ قال : «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله» .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك في الركاب ، فقل : بسم الله ، وإذا استَوَيت راكباً فقل : «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» الآية . فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابـــة .

آداب الأكل

إذا أكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخَبيث ، وبَينَ أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وسَقَانَا وجَعَلَنَا مُسْلِمين ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لرجل يفعله : «اذْكُر اسْم الله، وكُلْ مِمَّا يَليكَ» وكُلْ بِيَمِينِكَ ولا تأكُلْ بِشِمَالِكَ ، ولا تَشْرَبْ بِشمَالكَ .

وبلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « إِنَّهَا إِكْلَةُ الشَّيطَانِ » .

لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لا يسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ ياقيوم برحمتك أستَغيث ، فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

الحذر من النميمة

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أَبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وهو النمام .

لا تجرّ ثيابك فإن الله لا يحب ذلك ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إليه يومَ القِيَامَة » .

أَطع الله في معصية النَّاس ، ولا تطع النَّاس في معصية الله ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال :

«لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالِق» .

إذا أَصابك حزن أَو سقم أَو ذلة أَو لأواء – يعني الجوع – فقل : الله ربي لا أُشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أَنه كان يأمر بذلك من أَصابه شيءٌ من ذلك .

الصبر على المصائب

اصبر على ما أَصابك من فجائع الدنيا وأَحزانها لقول الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ) .
والصبر من الإِيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لا تُمَارِينَّ أَحدًا وإنْ كُنتَ مُحقًّا ، بلغني أَن قول الله عز وجل : (فَلاَ رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحَجِّ) أَنَّه المِرَاء .

إذا هممت بأمر من أُمور الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أَنه قال : «إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ في عَاقِبَتِهِ ، فإن كَانَ رُشْدًا فَامْضِهِ ، وإنْ كانَ غَيًّا فانْتَهِ عنْهُ»

الحياء

إِيَّاك والتجريد خالياً ، فإِنه ينبغي لك أَن تستحيي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم –

أنه قال : «لا أُحِبُّ أَنْ يَلِيَ لي شَيئاً مَنْ لا يسْتَحِيي مِنَ الله في الخَلاء» . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : «لا يَحِلُّ لامْرِيءٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخرِ أن يَدْخُلَ الحَمَّام إلا بِإزَار» .

أَفشِ السلام ، وإن استطعت أن لا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات .

تأديب الأولاد

أَدِّب ولدك ، ومن وليت أمره على خُلُقك وأدبك ، حتى يتأدَّبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغني عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن .

وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكَتَّ ، واجتهد رأيك فإنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : «المُسْتَشَارُ بالخِيَارِ إنْ شَاءَ تَكَلَّم وإنْ

شاءَ سَكَتَ » .

لا تفش على أَحد سرًّا أَفشاه إليك ، فإنما هي أَمانة اسْتَودَعْكَهَا ، وائتَمَنك عليها إلا أَن يكون إفشاؤُه خيرًا له في دنياه وآخرته ، فافشها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: « مِنْ حَقِّ ٱلمسْلم على ٱلمسْلم إذا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحهُ » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فَلْيُرَ عليك أَثره ، ولْيُرَ فيكَ سِمته ، وتعلَّم للذي تعمله ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه قال : «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ » .

ردُّ جواب الكتاب إلى كل أَحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام قال عز وجل : (وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) . وقال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ

أَريٰ رَجْعُ الكِتَاب عَلَيَّ حَقًّا كما أَرَيٰ رجْع السَّلام

الْزم الحياءَ فإنه خُلُقُ الإسلام ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ شَيءٍ خُلُقٌ ، وخُلُقُ الإِسْلام الحَيَاءُ » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاء

السَّفَرِ ، وكَآبَةِ ٱلْمنْقَلَبِ ، ودَعْوَةِ ٱلمظْلُوم، وسُوءِ ٱلمنْظَرِ في الأَهْلِ والمالِ ، والحَوْرِ بَعْدَ ٱلكَوْرِ » . بلغني عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، لقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « ثلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الإِمَامُ ٱلعَادِلُ ، والصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، ودَعْوَةُ ٱلمظْلُوم فإِنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الغَمَام ، فَيَقُولُ اللهُ لَهَا : وَعِزَّتِي وجَلالِي لأَنْصُرَنَّكِ ولَو بَعْدَ حِينٍ » .

دعاء السفر

إذا ودَّعْتَ مُسَافِرًا فَقل : « زَوَّدَكَ الله التَّقْوَىٰ ، وغَفَرَ لَكَ ذَنبكَ ، ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَودِعُ الله دِينَكَ وأَمَانَتكَ وخَوَاتِيم عَمَلكَ » . لأَن صلى الله عليه وسلم كان يأمر أَصحابه بها .

إذا حضرت أَمرًا ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أَن تدفعه ، فقم عنه ولا تقعد. لقول النبي — عليه الصلاة والسلام — « لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَــهُ » .

آداب عامة

الزم السواك فإِنه سنة ، بلغني عن النبي — صلى الله عليه

وسلم ـ أنه قال : «السِّوَاكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ» .

افش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء، وليكن ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب، بلغني عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ فَيَجْعَلُهَا في كَفَّة، فَيُرَبِّيهَا لَهُ كما يُرَبِّي أَحَدُكُم فُلْوَهُ أَو فَصِيلَهُ ، حَتَّى تَكُونَ في يَدِهِ مِثْلَ الجَبَل» .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا، فليكن مفزعك فيها إلى الله ـ عز وجل ـ حين تنزل بك، بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «لَنْ يَنْزِلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ كانَ مَفْزَعُهُ فِيهِ إلى اللهِ إلا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ» .

لا تضطجع على بطنك إذا نمت، ولا في غير نومك، لما بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إنَّهَا لَضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ» .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «أَحَقُّ مَا وُفِّيَ بِهِ عَهْدُ الله» .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير، وإياك والكلام

عنده إلا بما يرضي الله، لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ من سخَطِ الله، ما يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَابَلَغَتْ يُكْتَبُ لَهُ بِهَا سُخْطُهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، مَايَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ ما بَلَغَتْ، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ».

أَرِدْ ما أَردت به الله ما استطعت، بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الربِّ.»

اتَّقِ كثرة التزكية لنفسك، أو ترضي بها من أحد يقولها لك في وجهك، بلغني أن رجلا امتدح رجلا عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ، ولَوْ سَمِعَهَا ما أَفْلَحَ أَبَدًا».

إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم، لقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «احْثُوا التُّرَابَ في وُجُوهِ ٱلمدَّاحِينَ».

طهِّر ثيابك ونقِّها من معاصي الله تعالى، فإنه بلغني أن قوله تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) يأمره أن لا يلبسها على عـذرة.

واكره لكل أحد ماتكرهه لنفسك. بلغني عن

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنهُ بايع جرِيرًا البَجَلي على الإِسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

إِياك والحسد والشَّرَه فهما خُلُقان مُرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهما : «لا حَسَدَ إِلا في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مالاً وسَلَّطَهُ على إِنْفَاقِه في الحَقِّ ، ورَجُل آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا» .

اقتد في أُمورك برأي ذوي الإِنصاف من أَهل التقوى ، بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنه قال: «خِيَارُكُمْ شُبَّانُكُم الْمُتَشَبِّهُونَ بِشُيُوخِكُم ، وشِرَارُكُم شُيُوخُكُم المُتَشَبِّهُون بِشُبَّانِكُم» .

لا تحتكر أَحدًا ، ولا تجالس مأْفوناً ، فإِن الوحدة خير من جليس السوءِ .

عليك بمعالي الأَخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سَفْسَف منها ، بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنه قال : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاق ويَكْرَهُ سَفْسَافَها» .

إِذا رأَيت من فضلت عليه في دينك ودنياك ، فأَكثر

حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغني عنه عليه ـ الصلاة والسلام ـ أنه قال: « ما أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ إلا كَانَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وإنْ عَظُمَتْ » .

لا تركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المُعَصْفَر ، فقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لاتَتَطَيَّرَنَّ من شَيءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ ، وإذَا كَانَ مِنْ ذٰلِكَ شَيءٌ فَقُل: اللَّهُمَّ لا يأتِي بالخَيرِ إلا أَنْتَ ، ولا يَدْفَعُ السُّوءَ إلا أَنْتَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ» . فقد علمت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لا تتوضأ بشيءٍ مما تأكل من الطعام ، ولا تَدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء .

لا تتخلقن بالخلوق إلا أن يكون في أثر النَوْرَةِ ليذهب ريحها ، فقد بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ في بُرْدَتَينِ لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخْتَرُ فِيهِمَا ، إذْ سَاخَتْ بِهِ الأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

لا تغيرن أظفارك بالحناء ولا يديك إذا دخلت الحمام، فإنه ليس من سيماء أهل الفضل .

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعَتَاق ، فإنها من أَيْمَان الفُسَّاق . بلغني عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال : أَرْبَعٌ جائِزَة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمْسُون والله عليهم ساخط ، ويصبحون والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتيٰ بهيمة ، أو عَمِلَ عمل قوم لوط.

لا تتطيبن بشيء من الطيب يظهر لونُه ، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « طِيبُ الرِّجالِ مَابَطَنَ لَونُهُ وظَهَرَ رِيحُهُ ، وطِيبُ النِّسَاءِ ما ظَهَرَ لَونُهُ وبَطَنَ رِيحُهُ » .

الزم الرأي الحسن ، والهَدْي الحسن ، والاقتصاد ، بلغني عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال : الرأيُ الحسن جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي – عليه الصلاة والسلام – أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال :

« إِنَّ اللهَ تَعَالىٰ أَعَزَّ الإِسْلَامَ بِالعَمَائِمِ والأَلْوِيَةِ » .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراقَّ (١) فلا يَلِ ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أَنهُ كان يلي ذلك من نفسه .

لابأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلي، لقول ابن عباس ـ وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل في الحمام ـ إن الماء لايجنب ، وإذا تنخمت في المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال :ـ هي خطيئة ، وكفارتها دفنها .

دعاء النوم

إذا نمت فقل عند منامك : « اللَّهُم أَنْتَ القَائِمُ الدَّائِمُ لا تَزُولُ ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيءٍ لا شَرِيكَ لَكَ ، عَلِمْتَ كُلَّ شَيءٍ بِغَيرِ تَعْلِيم ، اغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوب إلا أَنْتَ » .

بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنهُ قال: أَلا قُلْتُم كَمَا قَالَ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ وهو الذي قال ماتَقَدَّم .

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي ـ صلى

---

(١) المرق :ـ مارق من البطن ، لان .

الله عليه وسلم ـ« أَنَّهُ كَانَ يَأْمُر أَصحابه أَنْ لا يَسْتَقْبِلُوا ٱلْقِبْلَةَ ، ولا يَسْتَنْجُوا بِأَيْمَانِهِم ، ولا يَسْتَنْجُوا بعَظْم ولا رَوْثٍ » .

إذا انصرفت من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ ماعَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَم ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَاعَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَم ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ ماسَأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ ماعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

بلغني عن ابن مسعود أنه قال : ما دعا نبيٌّ مرسل ولا عبد صالح بشيءٍ حسن إلا هو فيه ، يعني في هذاالدعاء .

لا تشتم عبدًا لك ، ولا أَمَة بِزني ، فإنه بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « مَنْ قَذَفَ أَمَةً أَوْ حُرَّةً أَو يَهُودِيَّةً أَو نَصرَانِيَّةً فَلَم يُضْرَب في الدُّنْيا ضُرِبَ يَومَ ٱلْقِيامة ثمانينَ جَلْدَة » .

من أدب السفر واللقاء

إذا كنت مسافرًا أو مقيماً ، فامسح ـ إن شئت ـ على خُفَّيك إن كنت مسافرًا ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال

ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزعن يدك عن يده ، حتي يكون هو الذي ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : أنه لم يصافح أحدًا فنزع يده حتي يكون هو الذي ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتي يكون هو الذي يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقومن من بين يديه ، ولا تجاوزن ركبتك ركبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له.

وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : « اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعاً ، اللهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وأَحْذَرُ ، وأَعُوذُ بِاللهِ الْمُمْسِكِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ مِن شَرِّ فُلان ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جارًا مِنْ فُلانٍ وجُنُودِهِ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُم أَوْ أَنْ يَطْغَى ، جَلَّ جَلالُكَ ، وعَزَّ جَارُكَ ، ولا إلهَ غَيْرُكَ » .تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغني عن ابن عباس أَنه قال ذلك وأمرنا به .

وإذا كتبت إلى أَحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن سلام الله عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَيٰ ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه كتب ذلك إلى مُسَيلمة .

إذا عَطَسْتَ في الخَلاءِ ، فاذكر اسم الله خفياً . لا تدهن في مُدْهُن ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب والفضَّة ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه نهي عن الشرب في إناءِ الذهب والفضَّة .

لا تنم على الحرير والديباج فإنه لِبسَة النساءِ ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنهُ نهي عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إذا رأَيت أَمرا في أَهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ، فلا تحابِيَنَّ منهم أَحدًا ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم أَنه قال : «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً» .

إذا هممت بأَمر من طاعة الله ــ عز وجل ــ فلا تحبسه إن استطعت فواقاً حتي تمضيَهُ ، فإنك لا تأمن الأَحداث ،

وإذا هممت بأَمر غير ذلك. فإن استطعت أَن لا تمضيه فواقاً فافعل، لعل الله تعالى يحدث لك تركه.

لا تستحي إذا دُعيت لأَمر ليس بحق أَن تقول: لا . فإن الله تعالى يقول: (واللهُ لا يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ) .

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أَنك تقول إذا قال: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح: لاحول ولا قوة إلابالله، بلغني ذلك عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ

لا تخلون بامرأَة ليست لك بمحرم، بلغني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: ما خلا رجل بامرأَة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين، فقل: آمين، فإنه ينبغي إذا فرغ من أُمّ القرآن أَن يقول آمين، ويقوله من خلفه سرًّا ولا يجهر به، بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَنه قال: «إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّ المَلائكَةَ تُؤَمِّنُ لِتَأْمِينِ الإِمَامِ، فَمَنْ وَافَقَ مِنْكُم تَأْمِينَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيءٍ حتي تغسل فرجك بالماءِ، بلغني عن النبي ــ صلى الله علية وسلم ــ أَنه قال لأَهل

مسجد قباء: إِنَّمَا نَزَلَتْ هذه الآية فيكم: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) فأَنْبِئُونِي ماهٰذَا التَّطْهِيرُ الَّذِي ذُكِرتُم بِهِ فاثْبُتُوا عَلَيهِ، قالوا: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيًّا مَامِنَّا امْرَأَةٌ ولا رَجُلٌ يأتِي الخَلاءَ فَيَبْدَأُ بِشَيءٍ دُونَ غَسْلِ فَرْجِهِ بالماء.

إذا أكلت طعاماً فَعَلِقَ بين أصابعك فالعقها، وأسنانك فتخلل، فإنه بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لَيْسَ شَيءٌ أَشَدَّ عَلىٰ الْمَلَك مِنْ أَنْ يَرَيٰ في الرَّجُلِ طَعَاماً وهُوَ يُصَلِّي».

إذا نزلت منزلا فقل: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا فَقَالَ هٰذِهِ الكَلِمَاتِ، وُقِيَ شَرَّ مَنزِلِهِ حَتَّي يَرْتَحِلَ مِنْهُ».

لا تأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله. ولاشيئاً من ثمن شراب لا يحل لك شربه. قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الخمر: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا».

ولا تداوَ بشيءٍ لا يحل لك أكله ولا شربه. ولا تبعْه. ولا تشتره. ولا تطعمه. ولا تُطْعمه أحدًا. ولا تسقه

ولا تُدَاوِ به أَحدًا صغيرًا ، ولا كبيرًا ، ولا بهيمة ، ولا غيرها . بلغني عن بعض علماءِ الصحابة أنه نُعِتَ لبعير له خمر فقال : لا والله لا أُوجره خمرًا .

لا تأكل لحم شيءٍ من السباع ، ولا ذا مخلب من الطير ، بلغني أَن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « نَهَىٰ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَاب مِنَ السِّباع » .

إذا فَزِعْتَ في مَنَامك فقُل : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وعقَابهِ ، ومِنْ شَرِّ عِبَادِه ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضرُونِ » .

بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : إذا فَزِعَ أَحَدُكُم في مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ .

إذا قلت لأَحد : أَقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أَقسمت عليه أَن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفِّر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أَحلف عليك أَو أَشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كُنتَ وَقَّتَّ له وقتاً معلوماً فتركه حتي جاوز الوقت .

لا تبدأَنَّ أَحدًا من غير أَهل الإِسلام بالسلام ، لكن لو سَلَّم هو فقل : وعليكم ، بلغني أَن النبي ــ صلى الله عليه

وسلم ـ أمر بذلك .

لا بأس أن تأكل جُنُباً ـ وإن كنت لم تتوضأ ـ إذا غسلت يديك .

لا تقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا تنبغي الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه السلام .

ولا تقل لأحد جعلني الله فداءك ، قال الزبير ذلك للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو مريض ، فقال له ـ عليه السلام : « ما تركت اعرابيتك بعد » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أربعة ليس عليهم جنابة : الأسنان والماءُ والثوب والأرض .

لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم .

لا تبلغ بشيءٍ من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحدًا على جُرْم اجترمه أربعين سَوْطاً . قال صلى الله عليه وسلم : «مَنْ بَلَغَ حَدًّا في غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ» .

إذا أَحببت أَحدًا لله فأَعلمه ، ففي ذلك أَن رجل قال للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً للهِ ، قالَ : أَمَا أَخْبَرْتَهُ ؟ قالَ : لا ، قال : فَأَخْبِرْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ : أَحَبَّكَ اللهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ » .

لا تشفع فيمن وجب عليه حَدٌّ من حدود الله إذا انتهي إلى الإِمام ولا تحل دونه ، ولا بأس أَن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماءِ الصحابة ، وتشفع في سارق فقيل له : أَتشفع فيه وأَنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل أَن يبلغ الإِمام ، فإِذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو عفا عنه .

الزم الصمت ، قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا يَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الإِيْمَانَ حَتَّيٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وإِذا أَتيت قرية أَو بلدًا فقل : « اللَّهُمَّ ارْزُقنا خَيرَهَا ، واصرف عَنَّا وَبَاءَهَا » كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول ذلك إذا دنا من قرية .

إذا عطَسْتَ فقل : الحمد لله ، فإِن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإِن عطس عندك مسلم ، فقال : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان علي ــ رضي الله عنه ــ يقولها لمن عطس ، ويقول ذلك : يَهْدِيكَ الله ويُصلحُ بالك ، وكان

ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمته حتي يحمد الله ، قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ إذا عَطَسَ أَنْ يُشَمَّتَ إذا حَمَدَ الله » .

وقِّر الكَبير وارحم الصغير ، قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنا» .

لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا مِلك يمين ، ولا تضع يدها على شيءٍ من جسدك ، ولا تضع يدك على شيءٍ من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئاً من جسدك ، ولاتعانق رجلا ، ولا تقبل ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك بذي رحمك ، فقد ضم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ جعفر بن أَبي طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه ، وقَبَّل بين عينيه .

لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ، ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عنه .

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت الى الأداءِ .

لا تَمْنُنْ على أَحد بإحسانك ، فإنه يبطل أَجرك ، قال عز وجل : (لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمنِّ والأَذَيٰ) .

مكافأة المعروف

ومن أولاك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به . قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : «مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفاً فلم يقدر على مكافأته إلا بالثَّناء فقد شكره . ومن كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ» .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه . قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : «إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظَاهِرُها مِنْ باطِنِهَا ، وبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِها . قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قال : لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وتَابَعَ الصِّيَام ، وطَيَّبَ الكَلاَمَ ، وصَلى بِاللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ» .

إذا عملت عملا لله فأحسنه لقوله تعالى : (لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمُ أَحْسَنَ عَمَلا) .

لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تتهمه حتي تحقَّهُ .

لا تأتِ أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حسَّك . قال صلى الله عليه وسلم : «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ قالوا : كَيفَ نستحي من الله حق الحياء ؟ قال : احْفَظُوا الرَّأسَ ومَا حَوَىٰ ، والبَطْنَ ومَا وَعَىٰ ، واذْكُرُوا الموتَ والبَلا ، وذَرُوا زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا» .

إذا أصبحت فقل : «اللَّهُمَّ لا إِلٰه إلا أَنْتَ وَحْدَكَ

لا شَرِيكَ لَكَ . لَكَ الْمُلْكُ ولَك الحَمْدُ لا شَرِيك لَكَ ، عَشرَ مَرَّاتٍ . قال النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصبحُ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَحرُسَانِهِ حَتَّى يُمْسِيَ ، وإِذَا قَالَهَا لَيلاً فَكَذٰلِكَ حَتَّى يُصْبح » .

إذا كنت في العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل . وإن توضأتَ أجزأك . سأل رجل عليًّا عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة .

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتي تدعو . وقل : اللهُ أَكْبَرُ . اللهُ أَكْبَرُ . الحَمْدُ لِلهِ . أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذا الشَّهْرِ . وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ القَدَرِ . وشَرِّ يَوْم المحْشَرِ .

لا تَؤُمَّنَّ أَحدًا في بيته ولا في سلطانه إلا أن يأذن لك . وذلك أنه بلغني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « لا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في بَيْتِهِ ولا في سُلْطَانِهِ إلا بإِذْنِهِ » .

ولا تحب من الناس أن يَمْثُلُوا لك قياماً . لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِياماً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

اجابة الدعوة

أَجب الدعوة إذا دُعيت . قال صلى الله عليه وسلم : « الدَّعْوَةُ يَوْم العُرْسِ حَقٌّ » وقال : « لَو دُعِيتُ إلى كِرَاع

لأَجَبْتُ » .

إذا حلفت على شيءٍ . وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأَطعهما ما لم يكن مَعْصية .

احتجم في سبع عشرة . وتسع عشرة . وإحدي وعشرين . أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك .

إذا عدت مريضاً فأَخِفَّ العِيَادة . وأَقلَّ اللُّبث .

إذا مررت بالمقابر فقل : السلام عليكم أَهل الدار المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاءَ الله بكم لاحقون . أَنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع . أَسأَل الله لنا ولكم العافية .

تشييع الجنازة

لا بأس أَن تمشي أَمام الجنازة . مشي النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وأَبو بكر . وعمر . وابن عمر أَمامها . وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ولا تنزل . حتي توضع عن عواتق الرجال . بلغني ذلك عن بعض الصحابة .

لا تنفخ في الطعام والشراب . فإنه جفاءٌ . قاله بعض العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام الحجر . وعرفة . وجمع ، والصفا ، والمروة ، والجمار . روي ذلك

عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتي تحاذي إبهامُك أُذنك ، وتبسطهما عند صدرك في باقي ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبي – صلى الله عليه وسلم – اللاعب به وقال : « إيَّاكُمْ وإيَّاهْ » .

لا تمضغ العلك ، ولا تخلل إزارك ، ولا تجرَّد ولا تحذف ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إِنَّهَا مِنْ أَخْلاقِ قَوْم لُوط » .

اجمع الصُّوَّامَ عند فطرك على طعامك . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، ولا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِم شَيءٌ »

واعلم – رحمك الله – أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك ، وسبباً إلى الجنَّة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى ، واتِّباع ماهو أهله ماترجو به القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف(١) عنه

---

(١) تظلف عنه نفسك :– أى تكفها عنه .

نفسك ، وتعاهدها بالأَخذ والتأَديب عليه ـ إن شاءَ الله ـ حتي توقِفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه ـ إن شاءَ الله تعالى ـ

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وصيّة لسان الدين بن الخطيب لأولاده (١)

الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه المثقوب ، ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولا يبغته الفراق المعتوب ، ملهم الهدي الذي تطمئن به القلوب ، ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ، لا سيما للولي المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل في الكتاب المعجز الأُسلوب : (أَمْ كُنْتُم شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوب . . .) و (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيهِ ويَعْقُوب . .) والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف مَنْ خُلِعَت عليه حلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ، ولا تصمه العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوي المغلوب ، والأَمل المسلوب ، والاقتداء الموصل المرغوب ، والعز والأَمن من اللغوب .

وبعـد ، فإني لما علاني المشيب بِقمَّته ، وقادني الكِبرُ بِرُمَّتِه ، وادَّكرت الشَّباب بعد أَمته ، أَسفت لما أَضعت ، وندمت بعد العظام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني وَعْيُه ، وتعلق بعيني سعيه ، وأَمَّلتُ أَن تتعدَّي

(١) نفح الطيب ج ٤ ص ٤١٩ ـ ٤٢٦

إليَّ ثمرة استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفي برزخ أموات ، ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري إن سلك ، وعسي أن لا يكون ذلك على آثاري ، فقلت أُخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخَلَد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمنَّ عليَّ منهم بحسن الخلف ، والتلافي من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف ، فهو ولي ذلك ، والهادي إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم الله تعالى . . الذي بأنواره تهتدي الضُّلاَّل ، وبرضاه ترفع الأَغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأُخْلِفَتِ الآمَال ، وتبرَّأَت من يمينها الشمال ، أنِّي مُوَدِّعكم وإنْ سالمني الرَّديُ ، ومفارقكم وإن طال المدي ، وما عدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادي الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقَلَّ للحبيب المودّع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة [1] تعقد في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مُبْصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي ، وتوضح لكم من الشفقة والحنوِّ

(١) خيط يربط في الأصبع للتذكير بشيء معين .

قصدي . حسبما تَضَمَّنَ وعد الله من قبل وعدي ، فهي أَرَبُكُم الذي لا يتغيَّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه مارَفَّ عليكم سقفه ؛ وكأَني بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونُصول الشيب تروع بأَسل (١) ، لا بل السام (٢) من كل حدب نسل ، والمعاد اللحد ولا تسل .

فبالأَمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أَبناء عسكر مجر ، وغدًا شيوخ مضيعة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأَهلها ساخرة ، والأُولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُتَّعظ به في أَمر ، وقال بيدي لا بيد عمرو . فاقتنوها من وصية ، ومَرام ٍ في النصح قَصِيَّة ، وخُصُّوا بها أَولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا .

وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أَيهم أَحسن عملا ، ولا رضي الدنيا منزلا ، ولالطف بمن أَصبح عن فئة الخير منعزلا ، ولتُلَقَّنُوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أَنكم لن تجدوا بعد أَن أَنفرد بذنبي . ويفترش

(١) الأسل : الرمح المسنون .
(٢) الموت .

التراب جنبي، ويسح انسكابي، وتهرول عن المصلى ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم تُجلَب ، أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب، حتي لا يكون في الدِّين والدنيا أورف منكم ظلا، ولا أشرف محلا، ولا أغبط نهلا وعلا، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الآذان، وتستلمحوا صبح نصحي وَقَدْ بان ،وسأُعيد عليكم وصية لقمان:

أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم « وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وهوَ يَعِظهُ : يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم. يَابُنَيَّ أَقِم الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالمعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنْكَرِ واصْبِرْ عَلىٰ ما أَصَابَكَ إنَّ ذٰلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ. ولاتُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ ولا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرحاً إنَّ اللهَ لا يُحِبّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، واقْصِدْ في مشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لصَوتُ الحَمِيرِ ».

وأُعيد وصية خليل الله وإسرائيله، حكم ما تضَمَّنه محكم تنزيله: «يابُنَيّ إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُونَ».

والدين الذي اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره

مُصطفاه ، من قبل أَن يتوفَّاه ، إذا أُعْمِلَ فِيه انتقاد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرَّر ومستمد من عقل أَو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبناوُه مع رفض أَخيه متهدم ، فالله واحد أَحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأَكوان ، خالق الخلق ومايعلمون ، الذي لا يُسأَل عن شيءٍ وهم يُسْأَلُون ، الحي العليم المدبر القدير ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ، أَرسل الرسل رحمة ، لتدعوا الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ،مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أَنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوي الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنَبِيٍّ ملَّتنا المرعية الهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإِمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشرًا ، وترك دينه يضم من الأُمة نشرًا ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوِّط عنه في منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه .

رُوِيَ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أَنه قال: «تَرَكْتُ فِيكُم مَاإنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضلُّوا بَعْدِي ، كِتَاب الله

وسُنَّتِي ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ » .

فاعملوا يابني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وَعُوا مراشد هديه ؛ فَيَا فَوْزَ واعيه ، وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ماجاءَ به ، مجملا أو مفصلا على حسبه ، وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بِالتوقير ، وَفَضِّلُوا منهم أُولي الفضل الشهير ، وتَبَرَّؤُوا من العصبية التي لم يَدْعُكُم إليها داع ، ولا تَع التشاجر بينهم أُذن واع فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم استحبُّوا فضل تعظيمهم على فقهاءِ الملة ، وأئمتها الجلة ، فهم صَقَلَة نصولهم ، وفُرُوع ناشئة من أُصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم .

واعلموا أنني قطعت في البحث زماني ، وجعلت النظر شأني ، منذ براني الله تعالى وأنشأني ، مع نبل يعترف به الشاني ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ، فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التي يقصدها قد

نضلتها الشريعة وسبقتها ، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعليكم بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأَقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول : ـ وهو أَصدق القائلين ـ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ) .

وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة ، والله أَصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أَخس ماورث الأَولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلَّغت فأَنت خير الشاهدين ، فاجذروا المعاطب التي توجب في الشقاءِ الخلود ، وتستدعي شَوْهَ الوجوه ، ونضج الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأَمل الزائل ائتلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على مافات وتعذّر ، فإنما هي دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدّوا بالنواجذ عليها ،

وكفكفوا (١) الشبه أن تدنوا إليها .

واعلموا أن الاخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ماسوي الراعي همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة . واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه . وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتي لا ينخرم .

الله الله في الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغني المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر ، وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطّأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، والشاهدة للعبد برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا طَبَع (٢) ، والخير الذي كل ماسواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء

(١) كفكفوا : امنعوا .
(٢) الدنس مطلقاً في الجسم أو الخلق ، وهو أيضاً الكسل .

وإعادة ، فالخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره العذو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت ، وأحكموا أو ضاعها إذا أقمتموها ، واتبعوها النوافل ما أطلقتموها ، فبالأتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقت الكمال ، ولا شكر مع الاهمال ، ولا ربح من إضاعة رأس المال ، وذلك أحري بإقامة الفرض ، وأدعي إلى مساعدة البعض البَعْض ، والط ارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها (١) ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناءُ بأساسه ، والسيف بمراسه .

واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتي الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بمقال ، واستعاض صدأه بِصِقَال ، وإن تراخي قهقر

(١) اسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء ، وخاصة الوجه والقدمين ، لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » .

الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

والزكاة أُختها الحبيبة ، وَلِدتُها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعنَّاه ، من غير استحقاق مَلْء يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولاعلة إلا القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلواعليه ببعض مابذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفي ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفي ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه

المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذاك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ماترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بيَّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدره فيما فرض عن ربه وسنه ، وقال ليس له جزاءٌ عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغني لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأَعينوا مَن يستطيعه .

هذه عُمُد الاسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أَن بالعلم تستعمل وظائف هذه الأَلقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب (١) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

---

(١) الانتقاب : الاختفاء .

يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّر أُولُو الأَلْبَابِ) .
والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأُ الأَعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتْلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمّ ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطي حسابكم . فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثري لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جَرّاه ، وسهَر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحلوّهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل ، واختاروا في العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا يناله في غيره المقت .

وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المُرِيعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأَعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هي آلات لغير ، وأَسباب إلى

خير منها وخير ، فمن كان قابلا للازدياد ، وألفي فهمه في انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع في أُصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنة ، المهدي كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلّة ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأَدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمي ، وتقاعد عن التي هي أَسمي ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه ، وليقرأً المسائل الفقهية على مذهب إمامه .

وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأَكثرها لا يفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمة الصّغار ، وخمول الأَقدار ، والخسف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أَعرق في الاعتدال ، وأَوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه ، وملتمس الرشد ومُوليه ، عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخلطوا جامكم بجامها إلا

ما كان من حساب ومساجة ، وما يعود بجدوى فلاحة ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوي ذلك فمحجور وحزم مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وأْمُرُوا بالمعروف أَمرًا رفيقاً ، وانهوا عن المنكر نهياً حريًّا بالاعتدال حقيقاً ، واغبطوا من كان من سِنَة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ماتُنْهَوْن عنه حتي لا تسلكوا منه طريقاً .

وأَطيعوا أَمر من ولاه الله من أُموركم أَمرًا ، ولا تقربوا من الفتنة جمرًا ، ولا تداخلوا في الخلاف زيدًا ولا عمرًا .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأَهم ما أَضرى عليه الآباءُ أَلسنة البنين ، وأَكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أَكثر من شيءٍ عرف به .

وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُواري ، والسوأَة التي لا يُرْتَاب في عارها ولا يُتَمَاري ، وأَقل عقوبات الكذاب بين يدي الله ما أَعدَّ له من العذاب ، أَن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعوَّل عليه إن كان بالحق نطق .

وعليكم بالأَمانة فالخيانة لؤم ، وفي وجه الديانة كلْم ، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها ، أَداءُ الأَمانات إلى أَهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من

أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا . ولا تستأثِرُوا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أَشياءَهم في كيل أَو وزن ، والله الله أَن تعينوا في سفك الدماءِ ولو بالإِشارة أَو الكلام ، أَو ما يرجع إِلى وظيفة الأَقلام ، واعلموا أَن الإِنسان في فسحة ممتدة ، وسبل الله تعالى غير منسدة ، ما لم ينبذ الى الله تعالى بأَمانِه ، ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه . قال الله تعالى في كتابه الذي هدي بهسنناً قويماً ، وجلىَّ من الجهل والضلال ليلا بهيماً : (وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيْهَا وغَضَبُ الله عَلَيهِ ولَعنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) .

واجتناب الزني وما تعلق به من أَخلاق من كرمت طباعه ، وامتد في سبيل السعادة باعه ، لو لم تتلق نورالله الذي لم يهد شعاعه ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أَنواعه ، ولا عدم إِقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أَن يزني بأَهله ، والله قد أَعد للزاني عذاباً وبيلا ، وقال :(وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَيٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ومَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلا) .

والخمر أُم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطاً ، والمحرم قد أَغني عنه بالحلال الذي سوغ وأَعطي ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأَجساد ، والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنها بالأَنصاب والأَزلام في مباينة السداد.

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : (وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ) وقال : (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأذنُوا بِحَرْب مِنَ اللهِ وَرَسُولِه) في الكتاب المبيـــن .

ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطعم عن ذلك حتي تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعي به أَحدكم على قدمه ، ولا يكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ، ولا تلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ، فهو في السلوك إلى الله تعالى أَصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط ، وإياكم والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد في الصحاح الحسان ، والنميمة فساد وشتات ، لا يبقي عليه

متات (١) ، وفي الحديث : « لا يَدْخُل الجَنَّةَ قَتَّات » (٢)
واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود ، والبخل فما رُئِيَ البخيل وهو مودود ، وإياكم وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها ، ومَظَنَّات الفضَائح لا تؤمن غمراتها ، وتَفَقَّدُوا أَنفسكم مع الساعات ، وافشوا السلام في الطرقات والجماعات ، ورقوا على ذوي الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات ، وعوِّلوا عليه وحده في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ، وتقرَّبوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أَن الخلق عيال الله وأَحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أُولي الأَرحام ، والوشائج العادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ، والرُّشا فإنها تحط الأَقدار ، وتستدعي المذلة والصغار ، ولا تسامحوا في لعبة قمر ، ولا تشاركوا أَهل البطالة في أَمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأَيمان من حنث الأَوغاد والأَجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء

(١) متات : توسل وتقرب ٠
(٢) القتات :ـ النمام ٠ يقال :ـ قت الحديث أي نقله ٠

والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال العِجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أَن الله سبحانه بالمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحْذَر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أَذِيَّةَ المؤذين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأَيام كلما نزلت ، ولا تضجوا للأَمراض إذا أَعضلت ، فكل منقرض حقير ، وكل مُنقَضٍ وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأَرَج ، وأَوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبي لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجئوا إليه في البأساء والضرَّاء ، وقابلوا نِعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، ويعْذُب الوارد ، واسهموا منها للمساكين وأَفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار الشريفة : «ياعائشة ، أَحْسِنِي جوَارَ نِعَم اللهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْم فَعَادَتْ إِلَيْهِم» .

ولا تطغوا في النعم فتقْصُروا عن شكرها، وتلقيكم الجهالة بسكرها، وتتوهموا أَن سعيكم جلبها، وجِدَّكُم حلبها، فالله خير الرَّازقين، والعاقبة للمتقين، ولا فعل إلا لله إذا نُظِرَ بِعَينِ اليَقِين.

والله الله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تُذْهِبُوا بزواله زينكم، وليلتزم كل منكم لأَخيه، ما يشتدّ به تواخيه، بما أَمكنه من إخلاص وبرّ، ومراعاة في علانية وسرّ، وللإنسان مزية لا تُجْهَل، وحق لا يُهمَل، وأَظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور، ترغموا بذلك الأَعداءَ، وتستكثروا الأَودَّاءَ، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة، واعلموا أَن المعروف يكدر بالامتنان، وطاعة النساء شر ما أَفسد بين الاخوان، فإذا أَسديتم معروفاً فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أَعظم النساءُ أَمرًا فاحقروه.

والله الله لا تنسوا مقارضة سَجْلي، وبرُّوا أَهل مودتي من أَجلي، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أَجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار، وساعياً لنفسه إن تغلب

العدو على بلده في الافتضاح والافتقار، ومعوقاً عن الانتقال، أمام النُّوَب الثقال، وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أَهل الدنيا، فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها لا يقوم بضرها، وأَعقاب من تقدم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوي عاضدة، ومن بُلِيَ بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلل من المال، وليحذر معاداة الرجال، ومزلات الإدلال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال، وإفشاء السر، وسكر الاغترار، فإنه دَأبُ الغِرِّ، ولْيَصُن الدِّيانة، ويؤثر الصمت، ويلازم الأَمانة، ويَسِر من رضا الله على أَوضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أَمران، قصد أَقربهما إلى الحق، وليقف في التماس أَسباب الجلال دون الكمال غير النقصان، والزعازع تُسَالِم اللَّدْنَ اللطيفَ من الأَغصان.

وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً، واستظهارًا على الخطوب وغلاباً، فذلك ضرر بالمروءات والأَقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن بها منكم اختيارًا أَو جُبِرَ عَليها إكراهاً وإيثارًا، فَلْيَتَلَقَّ وظائفها بسعة صدره،

ويبذل من الخير فيها مايشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء سعادة ،وإخلال بعبادة ، وتَوَقُّع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلَّة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه ــ أسعدكم الله ــ وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتي التي لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوءِ صبحها ، وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستفشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم .

ومهما سئمتم إطالتها ، واستفزرتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوي الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاءِ ، جعل الله من وراءِ خطته النجاة ، ونَفَّقَ بَضَائعها المزجَّاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله سبحانه يَــلْأَمُهُ حيث شاءَ من شمل متصدِّع .

وصيّة الخطّاب بن المعلّى لابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي ، عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي، أنه وعظ ابنه فقال :

« يا بني ، عليك بتقوي الله وطاعته ، وتجنب محارِمَه باتباع سنته ومعالمه ، حتي تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفي على الله خافية ، وإني قد وَسَمت لك وَسْماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجيً مشرفاً يُحْتَاج إليك ، ويُرْغَب إلى ما في يديك ، فأَطع أباك ، واقتصر على وصية أَبيك ، وفَرِّغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإيَّاك وهَذْر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاءَ ، ويوقع الشحناءَ ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خُيَلاءَ تحكي عنك ، والق صديقك وعدوك بوجه الرضي ، وكفِّ الأَذي ، من غير ذلَّة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أُمورك في أَوسطها ، فإن خير الأُمور أَوسطها ، وقلل الكلام ، وافش

السلام ، وامش متمكِّناً قَصْدًا ، ولا تخطَّ برجلك ، ولاتسحب ذيلك ، ولا تَلْوِ عُنُقك ، ولا رداءَك ، ولا تنظر في عِطْفِك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراءَ ، ولا تنازع السفهاءَ ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطِّي ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغضَّ عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديثَ الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيءٍ منها طمع فيها السفهاءُ فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تَصَنَّع

تَصَنُّعَ المرأة ، ولا تَبَذَّل تبذُّل العبد ، ولا تَهْلُب لحيتك ولا تُبَطِّنها(١) ، وتوقَّ كثرة الحفِّ ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحلك غِبًّا ، ولاتلحَّ في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تُعلم أهلك ووُلدك – فضلا عن غيرهم – عدَد ما لك ، فإنهم إن رأوه قليلا هُنت عليهم ، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم ، وأَخِفهم في غير عنف ، ولِنْ لَهُم في غير ضعف ، ولاتهازل أَمَتك ، وإذا خاصمت فتوَقَّر ، وتحفَّظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكَّر في حُجَّتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحَفَّز على ركبتيك ، وتوَقَّ حُمرَة الوَجه ، وعرَق الجَبين ، وإن سُفِّه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكَلَّم ، وأكرم عرضك ، والقِ الفُضُول عنك ، وإن قرَّبك سلطان فكُنْ منه على حد السِّنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ماترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك ؛ أن تدخل بينه وبين

---

(١) هلب الشعر : نتف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الذقن والحنك من الشعر .

أَحد من ولده وأَهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأَهله صَرْعَةٌ لا تنهض ، وذلَّة لا تُقال ، وإذا وعَدْتَ فَحَقِّق ، وإذا حدَّثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأَصم ، ولا تخافت به كتخافت الأَخرس ، وتخيَّر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أَهله ، وإياك والأَحاديث العابرة المشَنِّعَة التي تنكرها القلوب ، وتقفُّ لها الجلود (١) ، وإياك ومضعَّف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أَشبه ذلك ، وإذا توضَّأت فَأَجِدْ عَرْك كفَّيك ، وليكن وضعك الحُرُض (٢) من الأَشنان في فِيْكَ كفعلك بالسواك ، ولا تَنَخَّع في الطَّسْت ، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ، ولا تَمُجَّ فَتَنْضِحَ على أَقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالُمشاش (٣) ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .
(٢) الحرض ـ بزنة قفل أو عنق ـ الأشنان تغسل به الأيدى اثر الطعام .
(٣) المشاش ـ بزنة غراب ـ العظم الذي لامخ فيه .

بقلة خل أو تابل أو عسل، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة، ولا تمسك إمساك المثبور، ولا تُبَذِّر تَبذِير السفيه المغرور، واعرف في مالك واجبَ الحُقُوق، وحرمة الصديق، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك، واعلم أَن الجشع يدعو إلى الطبع، والرغبة كما قيل تدق الرقبة، وربّ أَكلة تمنع أكلات، والتعفف مال جسيم، وخلق كريم، ومعرفة الرجل قدره، تشرف ذكره، ومن تعدي القدر، هوي في بعيد القعر، والصدق زين، والكذب شين، ولَصِدقٌ يُسْرِع عطب صاحبه، أَحسن عاقبة من كذبٍ يسلم عليه قائله، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأَحمق، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان، ولَقُرب ملك جواد، خير من مجاورة بحر طرَّاد، وزوجة السوءِ الدَّاءُ العُضَال، ونكاح العجوز يُذْهِب بماءِ الوجه، وطاعة النساءِ تزري بالعقلاءِ.

تشبَّه بأَهل العقل تكن منهم، وتصَنَّع للشرف تدركه.

واعلم أَن كل امريءٍ حيث وضع نفسه، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته، والمرءُ يعرف بقرينه، وإياك وإخوان السوءِ فإنهم يخونون من رافقهم، ويحزنون من صادقهم،

وقربُهُم أَعدي من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأَدب واستخفار المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوءُ التدبير وهـن .

والإِخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاءِ، وصديق لك في الرخاءِ، فاحفظ صديق البلاءِ، وتجنب صديق العافية ، فإِنهم أَعدي الأَعداءِ .

ومَنِ اتَّبَعَ الهَوَىٰ ، مال به الردي ، ولا يعجبنك الجهل من الرجال ، ولا تحتقر ضئيلا كالخلال (١) فإِنما المرءُ بأَصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأَكثر من أَصغريه .

وتوقَّ الفساد ، وإِن كنت في بلاد الأَعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أَكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأَقوام ، وامنح البشر جليسك ، والقبول ممن لاقاك .

وإِياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإِن ظاهر ذلك ينسب إِلى التَأْنيث ، وإِياك والتصنع لمغازلة النساءِ ، وكن متقرِّباً متعزِّزًا منتهزًا في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في

---

(١) الخلال ـ بكسر الخاء ، بزنـة الكتـاب ـ العود الذي تخلل به الاسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ في النحافة .

حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر ما يُلزمك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمرٍ حتي تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتي تري وجـه المصـــدر .

وعليك بالنُّورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاقَ الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا اسْتَكْتَ فعرْضاً . وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناءِ الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومَنْ أَيسَرَ أُكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر . قصر في المقالة مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملاله ، وكثرة المني ضلاله ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناءٌ ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوَقاح [1] وزير ، والحليم مطيَّة الأَحمق ، والحمق داءٌ لا شفاءٌ له ،

---

(١) الوقاح :ــ بفتح الواو ــ الوصف من الوقاحة ، وهى الافراط في سوء الأدب .

والحلم خير وزير . والدين أزين الأمـور . والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان . والشعر من السحر . والتهدد هُجر ، والشح شقاءٌ . والشجاعة بقاءٌ . والهدية من الأخلاق السَّرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتدأ المعروف صار دَيْناً . ومن المعروف ابتداءٌ من غير مسألة . وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء . ولَرِياءٌ بخير خير من معالنةٍ بشر . والعرق نزَّاع . والعادة طبيعة لازمة : إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، ومن حَلَّ عَقدًا احتمل حقدًا . ومراجعة السلطان خُرق بالإنسان . والفرار عار . والتقدم مخاطرة . وأعجل منفعة إيسار في دعة . وكثرة العلل من البُخَل . وشر الرجـال الكثير الاعتلال . وحسن اللقاء يذهب بالشحناء . ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سَكَنه . ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فَسَل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف . فتوقَّ منهن كل ذات بَذا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة

بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضي منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل ، قد كشفت القِحَةُ ستر الحياءِ عن وجهها ، فلا تستحي من إعوارها ، ولا تستحي من جارها ، كلبة هرارة ، مُهارشة عَقَّارة (١) فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه مشتوم ، ولا ترعي عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحبه ، ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيباً ، ويمسي عاتباً ، شرابه مرّ ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسَبُه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع (٢) ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .
(٢) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المربى .

به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتي قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتي أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاءُ الحمقاءُ (١) : ذات الدَّل في غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يُسمَع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤُها وَضِر (٢) ، وعجينها حامض ، وماؤُها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبها ، المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله - يابني - ممن يقتدي بالهدي ، ويأتم

---

(١) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر .

(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - : بقية الدسم والدهن في الاناء ، الوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

بالتقي ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضي .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبي الهدي وعلى آله ، وسلم تسليماً كثيرا .

أنشد المنتصر بن بلال الأنصارى :

صافِ الصَّديق بِوُدِّهِ وإذا دنا شبرًا فزدْه

واحلم إذا نطقَ السفيه فَمَن يُرِد جهلا يجدْه

أنشد علي بن محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدًا

وخيِّرت : أنَّي شئت ، فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً

ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

أنشد محمد بن حبيب الواسطى :

إذا أمن الجهَّال جهلك مرَّة

فعرضك للجهال غُنمٌ من الغنم

فعمَّ عليه الجهلَ والحلمَ والقَه

بمرتبة بين العداوة والسِّلم

فيرجوك تاراتٍ ، ويخشاك تارة

وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم

نصيحة الامام تركي آل سعود إلى أهل الأمصار [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله . . . إلى من يراه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . . فموجب الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة لكم ، والشفقة عليكم ، والمعذرة إلى الله تعالى ، إذ ولاني الله تعالى أمركم ، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ، ووعدهم على ذلك بالمزيد.

قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ، ولَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) .

فالذي أُوصيكم به ، تقوى الله في السر والعلانية ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يطِعِ اللهَ ورَسُولَه ويَخْشَ الله وَيَتَّقِه

---

(١) هو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وهو خامس حاكم من آل سعود ، تولى الحكم من سنة ١٢٣٥ الى ١٢٤٩ حارب الحكم العثماني ، وحكم أسرة محمد علي الألباني الذي حكم مصر أيضاً ، فنشر رجاله الظلم والفساد .

وبعد ان استتب الأمر للامام تركي ، وبايعته البلاد ، والتف الشعب حوله ، أرسل هذا المنشور الى أهل الأمصار ، لتلاوته في المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو أشبه بدستور للحكم .

فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ) .

وجماع التقوي أداءُ ما افترضه الله سبحانه ، وترك ما حرَّم الله ، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها وهي عمود الاسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، من أقامها فقد أقام دينه ، ومن ضيعها فهو لِمَا سِواها أضيع ؛ وهي آخر ما أوصى به النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه ، وهي آخر ما يذهب من الدين ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

وبعض الناس قد يسيء في صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلِّي وحده ، أو في نخلة هو ورجاله ، والمسجد جار له . وفي الحديث : «لا صَلاَةَ لِجَارِ اَلمسْجِدِ إلاَّ في اَلمسْجِدِ» وهمَّ النَّبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – : «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق» .

وهذه أُمور ما يخفاكم وجوبها ، لكن الكبري عدم إنكار المنكر ، وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كُلاًّ ذنبه

على جنبه . وفي الحديث : « لتأمُرنَّ بالمعروف ، ولتنْهوُنَّ عنِ المنْكَرِ ، ولتأخُذنَّ على يَدِ السَّفِيه ، ولتَطْروُنَّ عَلىٰ الحَقِّ إطْرَاءً ، أَوْ لَيعمَّنَّكُم الله بِعِقَابِه » .

وكذلك الزكاة : وبعض الناس يبخل ويستخف بها ، ويجعلها من دون ماله[1] ، والعياذ بالله تعالى ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى : « والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا ينْفِقُونَهَا في سَبِيلِ الله فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيم . يَومَ يحمىٰ عليها في نَارِ جَهنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُم وجُنُوبهم ، هٰـذَا ما كَنَزْتُم لأَنْفُسِكُم فَذُوقُوا ما كُنْتُم تَكْنزُونَ) .

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « مَامِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّة ، لا يُؤَدِّي حَقَّ الله مِنْهُ ؛ إلا إِذَا كَانَ يَوم القِيَامَةِ صفِّحَتْ لَهُ صَفَائِح ، وأُحْمِي عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّم ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبِينهُ وظَهْرِهِ ، كُلَّمَا بَرِدَتْ أُعِيدَتْ . في يَوم كَانَ مِقْدَارهُ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ ، حَتَّىٰ يقضي بَيْنَ العِبَاد فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلى الجَنَّة وإِمَّا إِلىٰ النَّارِ » .

ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم ، وكل

---

(١) دون المال : أدناه وأرخصه .

ما لا تؤدَّيٰ زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ، ولو كان من زرع فقد زكي إذ حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو ثمر أو أثمانها ، كل ما أُعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، والله يبتلي الغني بالفقير . وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فنرجو الله تعالى أن يقبلها منه . ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين .

وكذلك معاملة الربا ، تفهمون أنها أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب لله ورسوله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قال الله تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ) . وقال تعالى : (الَّذِينَ يأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المسِّ ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثل الرِّبَا ، وأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهيٰ فَلَهُ مَاسَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللهِ ، ومَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وفي الحديث أن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قال : « لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ومُؤكِلهُ وكَاتبَهُ وشَاهِدِيه» فلفيهم سواء . فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية ،

وأن من لم ينكر على العاصي كالمرائي فهو مثله . وفي حديث آخر : « الربا سَبْعُونَ ضَرْباً أَيْسَرُهَا مِثل مَنْ يَنْكَح أُمَّهُ ». وفي الحديث أيضاً : « أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلىٰ الله لا يُدْخِلهُمُ الجَنَّةَ ولا يُذِيقَهُمْ نَعِيمُهَا : مُدْمِنُ الخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وآكِلُ مَالَ اليَتِيم بِغَيْرِ حَقٍّ ، والعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ » .

ومن أنواع الربا : الطعام بالطعام إلى أجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب، والتفرقة قبل القبض . وفي الحديث : « الذَّهَبُ بالذَّهَبِ ، والفضَّة بالفضَّة ، والبُرّ بِالْبُرِّ ، والشَّعيرُ بالشَّعِيرِ ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ ، والمِلْحُ بِالْمِلْح يدًا بِيَد ، وَزْناً بِوَزْن ، كَيْلا بِكَيْل ، فَمَنِ زَادَ أَوِ اسْتَزَاد فَقَدْ أَرْبَىٰ الآخذ والمعطيٰ » . فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد.

ومنه القرض الذي يجر منفعة ، وفي الحديث : « كُلُّ قَرْض جَرَّ نَفْعاً فَهْوَ رِبا » وكذلك قلب الدَّين بالدين على المعسر ، إذا كان في ذمته دراهم ، فعجز عن وفائها ، فأسلمها إليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية .

وكذلك بيع العِينة وهو حرام ، بأن كان عند رجل سلعة ، فاشتراها منه إنسان إلى أجل ، ثم اشتراها منه

صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها .

وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذي له معاملة ، أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه ، والجاهل يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال ، فأنتم استعيذوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوي ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

وكذلك المكاييل والموازين ، وأنا مُلزِمٌ كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده ، صغارها وكبارها ، وينظر فيها عن الخلل ، وتكون على مكيال واحد ؛ وكذلك تفعلون بالموازين وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذِمِّي كما في الحديث : «أَدِّ الأَمَانَةَ إلى مَن ائْتَمَنَكَ ، ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» .

وكَذلك تفقَّدوا الناس عن المعاشر الرديئة ، والذين يجتمعون على شرب النتن والنشوق به .

وكل أهل بلد لا بدّ أن يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع ، فإن كانت خاوية فلا بدّ أن يعمروها ، والذي يُعْرَف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا .

وأنا مُطْلِق الأَمر بالمعروف ، والتناهي عن المنكر ، إذا

كان عن علم ينصح أَولاً ، ويؤدِّب ثانياً . ومن عارض مِنْ خاص أَو عام ؛ فأَدبه الجلاءُ عن وطنه ، وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر .

وأنا أُشهد الله عليكم أني بريءٌ من ظلم من ظَلَمكم . وإنَّا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم . .

(واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إخْوَانا ، وكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) ؛ وأَعزكم الله بعد الذلة ،وجمعكم بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف ، وبالإسلام أَعطي الله ما رأَيتم ؛ والسلام .

وصية الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين .

علينا أن نفهم الإسلام في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة :

١ ـ الإسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ؛ وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاءٌ ؛ وهو مادة وثروة ، أو كسب وغني ؛ وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ؛ كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، سواء بسواء .

٢ ـ والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، مرجع كل مسلم في تعرف أحكام دينه ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ ـ وللإيمان الصادق ، والعبادة الصحيحة والمجاهدة ـ نور وحلاوة ، يقذفهما الله في قلب من شاء من عباده . ولكن

الإلهام والخواطر ، والكشف والرؤى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ـ والتمائم والرقي ، والودع والرمل، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب ؛ منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥ ـ ورأي الامام ونائبه فيما لا نص فيه ، وفيما يحتمل وجوها عدة ، وفي المصالح المرسلة معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦ ـ وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ وكل ما جاء عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكِلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدّموا .

٧ـ ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا

الاتباع ، أن يجتهد ما استطاع في تعرف أَدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متي صح عنده صدق من أَرشده وكفايته ، وأَن يستكمل نقصه العلمي ، إن كان من أَهل العلم حتي يبلغ درجة النظر .

٨ ــ والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أَجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظلِّ الحب في الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أَن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ ــ وكل مسأَلة لا ينبني عليها عمل ، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأَحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأَصحاب ــ رضوان الله عليهم ــ وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ، وفي التأَول مندوحة .

١٠ ـ معرفة الله تبارك وتعالى وتنزيهه وتوحيده أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من المتشابه ؛ نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه : « والرَّاسِخُونَ في العلْم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كل مِنْ عِنْد رَبِّنَا » .

١١ ـ وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ، استحسنها الناس سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ماهو شر منها .

١٢ ـ والبدعة الإضافية ، والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ـ وصحبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم ـ قربة إلى الله ، ـ تبارك وتعالى ـ والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : (الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد

أنهم ـ رضوان الله عليهم ـ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًا في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ ـ وزيارة القبور أياً كانت ؛ سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا ، ونداؤُهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات ـ كبائرٌ ، تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة .

١٥ ـ والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ـ والعرف الخاطئُ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصودة بها ، والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ ـ والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً

وإن اختلفت مرتبات الطلب .

١٨ ـ والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن، أَنَّىٰ وجدها فهو أَحق الناس بها .

١٩ ـ وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعي ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي ـ فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتي يثبت العقلي أو ينهار.

٢٠ ـ ولا تكفر مسلماً نطق بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأَدَّىٰ الفرائض برأي أَو معصية ، إلا إن أَقر بكلمة الكفر ، أَو أَنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أَو كذب صريح القرآن ، أَو فسَّره على وجه لا تحتمله أَساليب اللغة العربية بحال ، أَو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر .

فإذا علمت دينك في حدود هذه الأُصول ، فقد عرفت معني قوله تبارك وتعالى : (اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِيْنكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ورَضَيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً) .

وعرفت أَن القرآن أَحكم دستور ، وأَن تعاليمه أَحكم

التعاليم وأنفعها لتقــدم البشرية ، وأصونها من الزلل ، وصدق الله العظيم حيث قال : (أَلا يَعْلَمُ مَن خلَقَ ، وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) .

متفرقات

مقطوعة لأبي حيان (١)

أَمــا إِنه لولا ثلاث أُحِبُّهــا
تَمنَّيْتَ أَني لا أُعَــدُّ من الأَحيــا

فمنهــا رجــائي أَن أَفــوز بتوبة
تكَــفِّر لى ذنبا وتُنْجِــح لى سعيا

ومنهن صَوْني النفس عن كل جاهل
لئيم فلا أَمشي إِلى بابه مشيَا

ومنهن أَخذى بالحديثِ إِذا الورى
نَسُوا سنة المختار واتَّبعوا الرأيا

أَتترك نصًّا للرســول وتَقتدِي
بشخصٍ ؟ لقد بَدَّلْتَ بالرَّشَد الغَيَّا

وله أيضــا :

يا مُنْضِيَ الطَّرفَ في ميدان لــذّته
وناضي الطرف بين الراح والرُّود (٢)

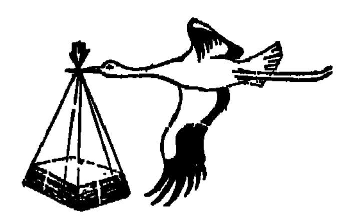
ستشرب الروح راح الوقت كارهة
ويذهب الجسم بين الترب والدود

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي .

(٢) منضى : منعب ، والطرف ــ بكسر الطاء ــ: الفرس ، والطرف ــ بفتح الطاء ــ: العين ، والرود ــ بضم الراء ــ: الفتاة الشابة .

فهرس كتاب الوصايا الخالدة



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٧٠٦١ بيروت لبنان

الثمن : ٣٠٠ ق. ل.

